

مختصر

العلماء في الفتح

الأعلام في الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي

٤٠٧ - ٤٩٠ هـ

تحقيق وتخرىج ودراسة

الدكتور محمد إبراهيم عمار

الجزء الأول

أبناء السلف



الطبعة الأولى

١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م



دار أئمة السلف - الرياض - البرية الدائرية الشرقى ضلع ١٥

ص ١٨٩٢ - الرز ١١٧١١ ت ٤٥٠٣٤١ - جول ١٧٦٨٠٣٢٨ - ٥٥٢٨٠٧٤٥٥





مختصر

المختصر في تاريخ الإسلام

الجزء الأول

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةُ الْحَقِيقِ

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢] .
 ﴿ يٰٓأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَدٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء : ١] .

﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٧٠ ، ٧١] .
 أما بعد : فإن أشرف العلوم وأجلها ، وأصل السنة وأصولها ، وزبدة الرسائل السماوية وغايتها هو علم التوحيد الذي موضوعه معرفة الله تعالى بآياته وأسمائه وصفاته والقيام بعبوديته ، وإثبات ما أثبتته لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ من صفات الكمال ، ونعوت الجمال وتنزيهه عما نزه عنه نفسه أو نزهه عنه رسوله ﷺ من صفات النقص والعيب ، والرد على من انحرف عن هذا الأصل القويم .

فالتوحيد هو الأساس الذي تنبني عليه شرائع الدين ، وهو الغاية

التي من أجلها خلق الله الخلائق : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات : ٥٦] .

وكان أهم وظائف الأنبياء والرسل الدعوة إلى توحيد الله سبحانه ولتحقيق هذه الغاية وأداء هذا الواجب قام نبي الهدى ورسول رب العزة طوال حياته الكريمة بتوجيه الناس يدعوهم إلى عبادة الله ويرشدهم إلى الصراط المستقيم ، فبين لأمته شرائع الدين وتوحيد رب العالمين ، ونصح لهم فلم يترك خيراً إلا وقد دلهم عليه ، ولا شراً إلا وقد نهاهم عنه ، فقال ﷺ : « إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم وينذرهم شر ما يعلمه لهم » (١) .

واختاره الله لجواره والتحق بالرفيق الأعلى بعد أن أكمل الله الدين وأتم نعمته على المسلمين ، فقال سبحانه : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [المائدة : ٣] .
وقال أبو ذر : لقد تركنا رسول الله ﷺ وما طائر يقرب جناحيه إلا وهو يذكرنا منه علماً . ثم قال : بين لكم ما يقربكم من الجنة ، ويباعدكم من النار (٢) .

وعاش الرعيل الأول من أصحاب رسول الله ﷺ على الفطرة السليمة وعلى المثل العليا ، تجمعهم عقيدة صحيحة ودين حنيف ،

(١) رواه مسلم في صحيحه (٣/١٤٧٣) ، كتاب الإمارة ، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء .

(٢) يأتي تخريجه برقم : (٦٤٥) .

وكانوا يستمدون عقيدتهم من المنهل الصافي العظيم كتاب الله وسنة رسوله الكريم لأنهم أعرف الناس بمراد الله ورسوله ، وقد نزل القرآن بلغتهم ففهموا ما أراد الله منهم ، وما احتاج إلى بيان بيَّنه لهم رسول الله ﷺ بسنته .

فكان عصرهم عصرًا مثاليًا لم يأت عصر مثله في الإسلام ، وتحملوا مسئولية الإسلام علمًا وعملاً ودعوة ، جماعات وأفراداً في خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويدعون إلى عقيدة صحيحة وإلي صراط مستقيم ، وقد شهد لهم الرسول ﷺ بأنهم خير الناس ، فهم خيرهم في العلم والدين والاعتقاد .

وبقي الأمر على ذلك حتى توالى الفتوحات واتسعت الدولة الإسلامية وعظمت رقعتها ودخل الناس في دين الله أفواجاً ، وكان دخول بعض منهم يخدم مخططاً يهدف إلى زعزعة العقائد في نفوس المسلمين ، وإثارة الفرقة والبغضاء فيما بينهم ، فنالوا بعض ما أرادوا وظهرت الفتنة الكبرى ، وتلوث الأيدي الآثمة بدم الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه فقتلوه مظلوماً .

ومن هنا ذر قرن الفتن في المجتمع الإسلامي وتتابعت ، وعلى إثرها ظهرت الفرق المنحرفة والطوائف الضالة كالخوارج والقدرية والجبرية والرافضة والمرجئة والجهمية والمعتزلة ، ومن تبعهم من الكلاية والأشاعرة والماتريدية وغيرها من الفرق الباطلة وأهل الأهواء الضالة الذين اعتمدوا على الأدلة العقلية في أمور دينهم وفهم عقيدتهم

فتأولوا الآيات الصريحة وردوا الأحاديث الثابتة الصحيحة .

وكان من أكبر هذه الفتن وأخطرها وأشدّها ضرراً على أهل الإسلام هو تعريب الكتب الفلسفية والكلامية وإدخال المفاهيم الأجنبية المنحرفة في العقيدة الإسلامية ، وتقديم الآراء العقلية على الأدلة الشرعية .

وقد بلغت هذه الفتنة ذروتها في العهد العباسي حيث استغلها بعض الحاقدين على الإسلام فاستطاعوا نشرها بين الناس بالمكر والتمويه ، ووقف بجانبهم بعض الخلفاء ، الأمر الذي أدى إلى تعرض علماء أهل السنة على أيديهم فيها إلى أنواع من البلاء والأذى .

وكان لظهور هذه الفتن آثار سيئة في تشتيت شمل المسلمين وتفريق جمعهم وتشعبهم إلى فرق وأحزاب كما كان لها أثر كبير في إبعاد كثير من المسلمين عن هدى الكتاب والسنة وانحرافهم عن المحجة البيضاء وخضوعهم أمام المؤثرات الأجنبية ثم إدخال المفاهيم الفلسفية والكلامية في المسائل العقديّة .

وهكذا تعرضت جوانب العقيدة الإسلامية في بعض فترات التاريخ لمحاولات خبيثة للتلاعب فيها والدس عليها وتشويه حقائقها وطمس معالمها ، قام بها بعض الأعداء الذين دخلوا في الإسلام لأغراض سيئة ، فحاولوا استغلال العقيدة لمآربهم الخبيثة وأرادوا انتقاصها وإيقاع الخلط والخبط في الأمة الإسلامية وإدخال الشكوك والأوهام في أذهان أفراد هذه الأمة .

وقد هيأ الله من أبناءها في كل فترة من فترات الضعف والانحراف

من تصدى لهذه المحاولات بالرد عليها وبيان ضلالها وانحرافها .
فألفوا مؤلفات نافعة وكتباً قيمة ، أوضحوا فيها معالم العقيدة السلفية
وحذروا الناس من تلك الآراء المنحرفة والأفكار الدخيلة .
ومن هؤلاء الأئمة الأعلام الذين فهموا العقيدة من منبعها الصافي
الأصيل وقاموا بالدفاع عنها وتنقيتها من مستورد ودخيل ، أبو الفتح
نصر بن إبراهيم المقدسي فألف كتابه (الحجة على تارك المحجة)
وهو الكتاب الذي اخترت تحقيق مختصره ودراسته موضوعاً لرسالتي
التي أعددتها لنيل درجة الدكتوراة .



سبب اختيار الموضوع

- أما أسباب اختيار الموضوع فترجع إلى عدة عوامل أذكرها باختصار :
- ١ - إن هذا الكتاب أشمل وأوسع الكتب الحديثية المؤلفة في موضوع الاعتصام بالكتاب والسنة ولزوم اتباع ما فيهما ، فهو كتاب فريد في بابه نفيس في موضوعه ومادته لم يسبق أحد من العلماء - حسب علمي - قبل أبي الفتح إلى تأليف كتاب بهذا الاسم والموضوع .
 - ٢ - تعدد الجوانب العلمية في الكتاب فهو من جهة كتاب حديث على طريقة المحدثين حيث اعتمد فيه المؤلف على نصوص الكتاب والسنة وهو من جهة أخرى كتاب عقيدة لما اشتمل عليه من عقائد السلف وبيان جوانبها المتعددة .
 - ٣ - شموله موضوعات العقيدة وعرضها بإجمال واستيفاء جوانبها دون تطويل ممل ولا تقصير مخل ، دون تعرض لذكر أدلة المخالفين من الفرق المبتدعة وأهل الأهواء الضالة .
 - ٤ - إن هذا الكتاب يتميز بإيراد عقيدة مفصلة لبعض فطاحل علماء السلف ، وتلك الميزة لا توجد في كثير من كتب العقيدة التي ألفت في هذا المجال .
 - ٥ - إن الكتاب له قيمة علمية كبيرة وأهمية بالغة في نفوس العلماء المتأخرين الذين جاءوا بعد أبي الفتح فقاموا بالاقْتباس من الكتاب حتي إن بعضهم جعلوا كتاب الحجة أحد المراجع التي اعتمدوا عليها في تأليف كتبهم ومؤلفاتهم .
 - ٦ - إن الكتاب يعتبر مصدراً موثقاً ومرجعاً هاماً للآثار الواردة عن

الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة الدين في حجية الكتاب والسنة ولزوم اتباع ما فيهما ، وهذه الآثار لها قيمة علمية كبيرة ، وتعد وثيقة نفيسة وصورة حية صادقة لما كان عليه سلفنا الصالح ، كما تحدد لنا موقف الأمة الإجماعي تجاه الفرق المنحرفة وأهل الأهواء الضالة .

٧ - فشو البدع والخرافات وانتشار الكتب والمقالات للفرق الضالة التي تسعى لإبعاد الناس عن العقيدة الصحيحة وتحاول طمس معالمها فمن الواجب أن تحقق كتب السلف التي تعتمد على الكتاب والسنة وتبين خطورة هذه الأفكار الزائغة ، وتحذر عن تلك الآراء المستوردة .

هذا وقد بذلت في خدمة الكتاب كل ما كان بإمكانني من جهد ووقت ومراجعة مستمرة في المصادر والمراجع المطبوع منها والمخطوط .

وذلك لتقويم نصوص الكتاب والسنة وإخراجه على صورة صحيحة قريبة مما وضع عليه المؤلف ، مع تخريج جميع الأحاديث والآثار الواردة في الكتاب وجمع طرق متعددة لها ، والحكم على جميعها من حيث الصحة والضعف ، وهذا أمر شاق جدا يعرفه ويقدره حق قدره كل من عانى هذا البحث الشاق - ويعلم الله كم قاسيت من تعب وعانيت من جهد في هذا السبيل - حكما علقنت على مواضع مختلفة بما يقتضيه المقام من الناحية العقدية ، ففصلت ما أورده المؤلف مجملاً ، وشرحت مذهب السلف في باب الاعتقاد شرحاً وافياً ، وقدمت دراسة مفصلة عن المؤلف ، حيث تناولت فيها جوانب من حياته الشخصية وسيرته العلمية من اسمه ونسبه وكنيته ولقبه ومولده ونسبته ونشأته وحياته وصفاته الخلقية والخُلقية ، وزهده وورعه ،

وحبه لطلبة العلم ، ومجانبته الحكام والولاة ، ورحلاته العلمية ، وشيوخه ، وتلاميذه ، وعقيدته ، وثناء العلماء عليه ، وبعض ما أخذ عليه ، وثقافته المتنوعة ، وآثاره الخالدة .

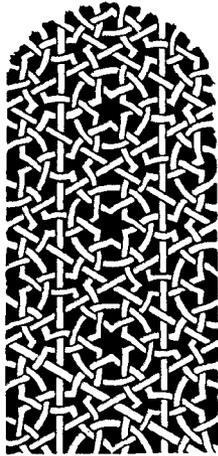
كما قدمت دراسة وافية عن الكتاب ، مع بيان اسمه ، وتوثيق نسبه إلي المؤلف ، وتحليل موضوعه ، وذكر منهجه ، وإبراز مكانته العلمية ، ومقارنته مع الكتب السلفية الأخرى ، وبيان بعض المآخذ عليه مع ذكر وصف المخطوطة وبيان منهج التحقيق .

وأخيراً أسأل الله العلي القدير أن ينفع بما كتبت ، وأن يحقق ما قصدت ، وأن يثيبني جزاء ما بذلت ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

وآخر دعوانا إن الحمد لله رب العالمين .



القسم الأول



قسم الدراسات

الباب الأول

في دراسة عن المؤلف

الفصل الأول

في حياة النبي الشخصية

المبحث الأول

اسمه ونسبه وكنيته ولقبه ومولده ونسبته

اسمه ونسبه :

هو الإمام الفقيه العلامة القدوة المحدث الزاهد ، مفيد الشام شيخ الإسلام أبو الفتح نصر بن إبراهيم بن نصر بن إبراهيم بن داود بن أحمد النابلسي المقدسي الشافعي (١) .

(١) مصادر ترجمته : تاريخ دمشق : لابن عساكر ، أبي القاسم علي بن هبة الله (ت ٥٧١ هـ) (٢٦٩/٢/١٧) . تبين كذب المفتري : له (٢٨٦-٢٨٧) . كتاب الأرمين : لأبي علي البكري ، صدر الدين الحسن بن محمد (ت ٦٥٦ هـ) ، (٦٧) . المعجم : لابن الأبار ، محمد ابن عبد الله ابن أبي بكر القضاعي (ت ٦٥٨ هـ) (٢٠٨-٢١) . تهذيب الأسماء واللغات : للنووي ، أبي زكريا محي الدين بن شرف (ت : ٦٧٦ هـ) (١٢٤٥/٢) . سير أعلام النبلاء : الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت : ٧٤٧ هـ) (١٣٦/١٩) . دولة الإسلام : له (١٩/٢) . العبر في خبر من غير : له (٣٦٣/٢) . مرآة الجنان : لليافعي ، عبد الله ابن أسعد بن علي (ت : ٧٦٤ هـ) (١٥٣-١٥٢/٣) . عيون التواريخ : لابن شاكر الكتبي (ت : ٧٦٨ هـ) (٧٩/٧٨/١٣) . طبقات الشافعية : لابن السبكي ، أبي نصر عبد الوهاب بن تقي الدين (ت : ٧٧١ هـ) (٢٨-٢٧/٤) . طبقات الشافعية : للأسنوي ، عبد الرحيم بن الحسن (ت : ٧٧٢ هـ) (٣٨٩/٢-٣٩٠) . طبقات الشافعية : لابن قاضي شهبة ، أبي بكر بن أحمد بن محمد (ت : ٨٥١ هـ) (٢٧٤/١-٢٧٦) . النجوم الزاهرة : لجمال الدين يوسف بن تغري بردي (ت : ٨٧٤ هـ) (١٦٠/٥) . الإنس الجليل : للعليمي ، القاضي مجير الدين الحنبلي (ت : ٩٢٨ هـ) (٢٩٩/٢٩٨/١) . طبقات ابن المصنف : لأبي بكر بن هداية الله الحسيني (ت : ١٠١٤ هـ) (٦٤) . شذرات الذهب : لابن العماد ، أبي الفلاح عبد الحي الحنبلي (ت : ١٠٨٩ هـ) (٣٩٥/٣) . تراجم رجال أئمة العراق : للحسيني ، محمد بن الحسين العراقي (٨٣/٢) . كتاب الزيارات بدمشق : للعدوي ، القاضي محمود (١٤/١) . كشف الظنون : لحاجي خليفة (٥٨ ، ٩٨) . إيضاح المكنون : للبغدادي إسماعيل باشا . =

إن أكثر المؤرخين قد اقتصروا على ذكر اسمه واسم والده عند ذكر نسبه ، فقالوا : أبو الفتح نصر بن إبراهيم ^(١) . وذكر آخرون جده الأول والثاني إلي إن وقفوا عند داود وهو جده الثالث ^(٢) . أما ابن عساكر في (تاريخ دمشق) فقد ساق النسب إلى آخره ، ولكن خالف الجميع فذكر جده الأول نصر وأغفل ذكر إبراهيم ^(٣) . وهو الذي يوهم أن جده الثاني داود وليس إبراهيم . والظاهر أن ما جاء في (تاريخ دمشق) خطأ لأنه خلاف ما ذهب إليه الأكثرون . ولعل سقوط اسم إبراهيم جده الثاني في سياق ابن عساكر نسبه حصل خطأ في النسخ .

كنيته :

يكنى المؤلف رحمه الله بأبي الفتح ، وعلى هذا أجمع كل من نسبه وترجمه ، وروى عنه أو ذكر اسمه ، ولم يذكر أحد منهم سبباً لهذه

= (١٢٩/١ ، ٢٧٤/٢) . هدية العارفين : له . (٤٩٠/٢) . الرسالة المستطرفة : للكتاني ، محمد بن جعفر (٣) . الأعلام : للزركلي (٢٠/٨) . معجم المؤلفين : لعمر رضا كحالة (٨٧/١٣) . تاريخ الأدب العربي : لبروكلمان (القسم الألماني) (س/١/٦٠٣) . فهرس الظاهرية : للألباني ، ناصر الدين (٤٢٥-٤٢٦) . جولة في دور الكتب الأمريكية : لعواد بشار (٧٥) .

(١) تبين كذب المفتري (٢٨٦) ، تهذيب الأسماء واللغات (١٢٥/٢) ، دول الإسلام (١٩/٢) ، مرآة الجنان (١٥٢/٣) ، طبقات الشافعية للأسنوي (٣٨٩/٢) ، الأنس الجليل (٢٩٧/١) (٢) المعجم (٢٠٨) ، سير أعلام النبلاء (١٣٦/١٩) ، طبقات الشافعية للسبكي (٢٧/٤) ، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٢٧٤/١) .

(٣) تاريخ دمشق (٢٦٩/٢/١٧) .

التكنية ، أو أن له ابناً يسمى الفتح .
وذلك أن المراجع التاريخية وكتب التراجم لم تذكر لنا عن أولاده شيئاً كما أنها لم تصرح عن زواجه وهل تزوج أم لا ؟ .
لقبه :

اشتهر المؤلف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بابن أبي الحافظ ، كما صرح به بعض المؤرخين ^(١) ، ولكن لم يذكر منهم سبباً لهذا اللقب .
وقد جاء في (سير أعلام النبلاء) ما نصه : (كان الفقيه نصر يعرف أيضاً بابن أبي الحائط) ^(٢) ، ولما كانت الألقاب تطلق عادة ، أما لصفة جسمانية ظاهرة في الفرد ، أو لصفة معنوية غالبية عليه ، فلفظ : (ابن أبي الحائط) ليس له مدلول يتعلق بالصفات الخلقية أو الخلقية ، فيحتمل أن كلمة (الحائط) محرقة عن (الحافظ) إذ لا معني لها .
كما أن المؤلف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لقب بالفقيه والزاهد فقل من أورد اسمه أو سرد نسبه وأغفل ذكر هاتين الصفتين .

فقد لقبه بالفقيه كل من الخطيب البغدادي ، والحافظ ابن عساكر ، وأبي علي البكري ، والحافظ الذهبي ، واليافعي ، وابن شاکر ، والسبكي ، والحافظ ابن حجر ، وابن قاضي شهبه ، وابن تغري بردى ، وابن العماد الحنبلي ، وحاجي خليفة ^(٣) .

(١) كالسبكي في طبقات الشافعية (٢٨/٤) ، والزركلي في الأعلام (٢٠/٨) .

(٢) سير أعلام النبلاء (١٤٠/١٩)

(٣) تاريخ بغداد (٤٣/١ ، ٣٢٩/١١) ، تاريخ دمشق (٢٦٩/٢/١٧) ، كتاب الأربعين (٦٧) ، =

وأما تلقيه بالزاهد فهو كذلك عند كثير من المترجمين له ، فقد وصفه به الحافظ ابن عساكر ، وأبو علي البكري ، والإمام النووي ، والحافظ الذهبي ، والياضي ، وابن شاكر ، والسبكي ، والأسنوي ، ومجير الدين الحنبلي ، وحاجي خليفة (١) .

مولده :

أما مولده فلم أجد ذكره بالتحديد في ترجمة المؤلف رحمته الله مع كثرة المترجمين له من العلماء والمؤرخين القدامى ، إلا أن الذهبي قد أشار إليه واكتفى بقوله : (ولد قبل عشر وأربع مائة) (٢) ، ولم يحدد السنة وكذلك الشهر واليوم .

ولكن حدده رضا كحالة في (معجم المؤلفين) بأن مولده كان سنة سبع وأربعمائة من الهجرة (٣) ، ولا أدري مصدره في قوله هذا ، فهل عشر

= تبين كذب المقترى (٢٨٦) ، سير أعلام النبلاء (١٣٦/١٩) ، العبر (٣٦٣/٢) ، العلو (١٨٧) ، مرآة الجنان (١٥٢/٣) ، عيون التواريخ (٧٨/١٣) ، طبقات الشافعية (٢٧/٤) ، المعجم المفهرس (١٢٨/١) ، طبقات الشافعية لابن قاضي شعبة (٢٧٤/١) ، النجوم الزاهرة (١٦٠/٥) ، شذرات الذهب (٣٩٥/٣) ، كشف الظنون (٥٨) .

(١) تاريخ دمشق (٢٦٩/٢/١٧) ، كتاب الأربعين (٦٧) ، تهذيب الأسماء واللغات (١٢٥/٢) ، العلو (١٨٧) ، العبر (٣٦٣/٢) ، مرآة الجنان (١٥٢/٣) ، عيون التواريخ (٧٨/١٣) ، طبقات الشافعية للسبكي (٢٨/٤) ، طبقات الشافعية للأسنوي (٣٨٩/٢) ، الأنس الجليل (٢٩٨/١) ، كشف الظنون (٥٨) .

(٢) سير أعلام النبلاء (١٢٦/١٩) .

(٣) معجم المؤلفين (٨٧/١٣) .

عليه في أحد المراجع ، أم عرفه من قول الذهبي المذكور ؟ (١) .
 وقد يؤيد هذا القول ما ذكره الأسنوي في (طبقات الشافعية)
 والياضي في (مرآة الجنان) بأن عمره كان ينيف على ثمانين سنة (٢) .
 وشذ الزركلي فذكر أن ولادته ﷺ كانت في سنة سبع وسبعين
 وثلاث مائة من الهجرة (٣) . وقوله هذا مخالف لجميع الأقوال
 الواردة في هذا الصدد كما أنه بعيد عن الصحة ، إذ لو ولد في السنة
 المذكورة لكان عمره أكثر من مائة وعشر سنوات ، فيعد من العلماء
 المعمرين ، وهذا أمر يذكر ولكن لم يشر إليه أحد .
 نسبته :

ينسب المؤلف ﷺ إلي نابلس وإلي بيت المقدس ، فيقال :
 « النابلسي » (٤) و « المقدسي » (٥) .

- (١) لأنني لم أطلع على بعض المراجع التي ذكرها رضا كحالة لعدم وجودها في مكتبة الجامعة الإسلامية .
 (٢) طبقات الشافعية (٣٩٠/٢) ، مرآة الجنان (١٥٣/٣) .
 (٣) الأعلام (٢٠/٨)
 (٤) ذكره الخطيب في تاريخ بغداد (٣٦٣/١١ ، ٣٢٥/٨) ، والذهبي في سير أعلام النبلاء (١٣٦/١٩) ،
 وفي العبر (٣٦٣/٢) ، والياضي في مرآة الجنان (١٥٢/٣) ، وابن تغري بردي في النجوم الزاهرة (٥/
 ١٦٠) ، ومجير الدين في الأنس الجليل (٢٩٧/١) ، وابن العماد في شذرات الذهب (٣٩٥/٣) ،
 والحسيني في تراجم رجال ألفية العراقي (٨٣/٢) ، وإسماعيل باشا البغدادي في هدية العارفين (٤٩٠/
 ٢) ، والزركلي في الأعلام (٢٠/٨) ، ورضا كحالة في معجم المؤلفين (٧٨/١٣) .
 (٥) قاله : ابن الصلاح في مقدمته (٧٨) ، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٦٩/٢/١٧) ، وفي تبين
 كذب المفتري (٢٨٦) ، وأبو علي البكري في الأربعين (٦٧) ، وابن الأبار في المعجم (٢٠٨) =

أما نسبته إلي نابلس ، فلأنها البلدة التي كانت مكان ولادته ،
ومسقط رأسه ، كما أشار إليه ابن عساكر في (تاريخ دمشق) وابن
الأبار في (المعجم) والذهبي في (سير أعلام النبلاء) وابن تغري
بردي في (النجوم الزاهرة) .

ونابلس - بضم الباء الموحدة واللام والسين مهملة - هي مدينة
عربية على الضفة الغربية لنهر الأردن ، إحدى مدن فلسطين .

قال ياقوت الحموي في (معجم البلدان) : هي مدينة مشهورة
بأرض فلسطين بين جبلين مستطيلة لا عرض لها ، كثيرة المياه لأنها
لصيقة في جبل ، أرضها حجر ، بينها وبين القدس عشرة فراسخ ،
ولها كورة واسعة ، وعمل جليل كله في الجبل الذي فيه القدس (١) .

وأما نسبته إلي بيت المقدس فلأن والده نزل فيه واستقر المقام به
وبأسرته ، فنشأ به المؤلف ، وسمع العلم ودرس على علمائه .

قال أبو علي البكري : (أصله من نابلس وسكن القدس الشريف

= والنووي في تهذيب الأسماء واللغات (٢/١٢٥) ، والذهبي في سير أعلام النبلاء (١٩/١٣٦) ،
وفي العبر (٢/٣٦٣) ، وفي دول الإسلام (٢/١٩) ، والياضي في مرآة الجنان (٣/١٥٢) ،
والسبكي في طبقات الشافعية (٤/٢٧) ، والأسنوي في طبقات الشافعية (٢/٣٨٩) ، وابن قاضي
شبهة في طبقات الشافعية (١/٢٧٤) ، والحافظ ابن حجر في المعجم المفهرس (١/٦٠) ، وابن
تغري بردي في النجوم الزاهرة (٥/١٦٠) ، ومجير الدين في الأنس الجليل (١/٢٩٧) ، وابن
العماد في شذرات الذهب (٣/٣٩٥) ، والحسيني في تراجم رجال ألفية العراقي (٢/٨٣) ،
وحاجي خليفة في كشف الظنون (٥٨) ، وإسماعيل باشا في هدية العارفين (٢/٤٩٠) ،
والزركلي في الأعلام (٨/٢٠) ، ورضا حكاية في معجم المؤلفين (١٣/٨٧) .

(١) معجم البلدان (٥/٢٤٨) .

فاشتهر بذلك (١) .

وقال ابن الأبار في (المعجم) : أصله من نابلس وسكن بيت المقدس ، ودرس هناك فنسب إليه (٢) .

وقد ينسب رحمته الله إلي دمشق لأنها حظيت بمقدمه إليها حيث اتخذها موطنه الأخير ، وبها كان جل نشاطه العلمي ، إذ عقد مجالسه العلمية في الجامع الأموي بدمشق ، فكان يدرس ويفتي ويحدث إلي أن مات عاكفا علي العلم والعمل ودفن فيها ، فأصبحت شهرته مرتبطة بها ، وممن نسب إليها الحافظ ابن عساكر والإمام النووي (٣) .



(١) كتاب الأربعين (٦٧) .

(٢) المعجم (٢٠٨) .

(٣) تاريخ دمشق (٢٦٩/٢/١٧) ، وتهذيب الأسماء واللغات (١٢٥/٢) .

المبحث الثاني

نشأته وحياته . .

نشأته وحياته :

إن المصادر التي توصلت إليها لم تمدنا بأية تفاصيل عن كيفية نشأته ، فلم تعطنا أية معلومات عن أسرته التي ترعرع في أكنافها ، وعن بيئته الخاصة التي نشأ في أوساطها ، سوى الإشارة إلي أنه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ولد بـ (نابلس) في أوائل القرن الخامس ، في عائلة موسرة ذات ثروة ، وفي بيت المقدس استقر المقام به وبأسرته .

حفظ القرآن الكريم ، وتلقى العلوم الضرورية ، من مبادئ التفسير والحديث والفقه وغيرها ، من العلوم التي يحتاج إليها طالب علم على أيدي العلماء والأساتذة في بيت المقدس ، وهو مازال في حداثة السن . وأما والده فقد ذكر أنه كان فاميا ⁽¹⁾ ، ولم يكن من أهل العلم ، ولكن عنايته الفائقة وتوجيهاته السليمة التي حظي بها ابنه ، تدل على أن هذا الوالد كان من محبي العلم والعلماء ، حيث اعتنى بولده منذ نعومة أظفاره ، وأدبه ورباه تربية سليمة ، وساعده في توجيهه إلي طلب العلم ، وأرشده إلي حضور مجالس العلماء منذ صغره .

وكان بيت المقدس من أهم المركز العلمية في بلاد الشام ، ومهجرا للعلماء والأئمة ، الذين كانوا يعقدون حلقات دروسهم في المسجد

(1) سير أعلام النبلاء (19/143) .

الأقصى ، فاغتنم ﷺ وجودهم في بلده ، وبذل كل الجهد في حضور مجالسهم والأخذ عنهم .

وهكذا بقي في بلده عشرين سنة ، يتردد على مجالس العلماء ويجتني من ثمارهم ويتلقى من علومهم (١) ، ولما أنس من نفسه إلحاح الرغبة على الاستزادة من العلم والمعرفة ، ووجد لديه القدرة على الارتحال إلي أماكن وجود العلماء الذين اشتهروا بعلومهم الغزيرة ، لبي هذا الطلب وبدأ أول رحلاته العلمية وهو في ريعان شبابه وعمره نحو عشرين عاماً (٢) ، فوصل إلي دمشق ثم إلي صور سنة سبع وثلاثين وأربع مائة ، ولازم الفقيه سليم بن أيوب الرازي أحد كبار فقهاء الشافعية في عصره فتفقه عليه (٣) .

قال غيث بن علي الأرمنازي : (سمعت الفقيه نصر يقول : درست على الفقيه سليم الرازي من سنة سبع وثلاثين وأربع مائة إلي سنة أربعين ، ما فاتني منها درس ولا وجعت إلا يوماً واحداً وعوفيت ، وسألته في كم التعليقة التي صنفها ، قال : في نحو ثلاث مائة جزء ، ما كتبت منها حرفاً إلا وأنا علي وضوء (٤) .

(١) تاريخ دمشق (٢٦٩/٢/١٧) ، تبين كذب المفترى (٢٨٦) ، المعجم (٢٠٨) ، طبقات الشافعية للسبكي (٢٧/٤) .

(٢) سير أعلام النبلاء (١٣٦/١٩)

(٣) تبين كذب المفترى (٢٨٦) ، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٢٧٥/١) ، شذرات الذهب (٣٩٥/٣) .

(٤) تاريخ دمشق (٢٦٩/٢/١٧) ، سير أعلام النبلاء (١٣٩/١٩) .

ثم واصل رحمته رحلاته العلمية إلى المدن الأخرى ، والتقى بشيوخها ، وعلمائها ، وحضر حلقات دروسهم ، فسمع منهم ما يروي ظمأه ويصل به إلى مرحلة التمكن في العلم .
وأخيراً عاد إلى بيت المقدس واختار الزاوية الغربية من المسجد الأقصى ليفيض مما عنده من العلوم على طلبة العلم ، فذاع صيته ، وراج علمه ، وقوبل من أهل العلم بالثناء الحسن والتقدير الجدير .
و كان رحمته حليماً متواضعاً ، واسع الصدر ، ليس بينه وبين أحد شحناً ، لا يخاف في الله لومة لائم ، ولا يهاب أميراً ولا سلطاناً^(١) .
وكان شجاعاً ، عالي الهمة ، قوي النفس ، وله مواقف جليلة مع الشيعة ، أقام في صور عشر سنين كان يعقد حلقات درسه فينشر العلم ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر مع كثرة المخالفين له من الراضية^(٢) .

نبغ في الحديث وعلومه ، ودرس على كبار علماء عصره ، وبرع في المذهب فعد من كبار فقهاء الشافعية ، وتلمذ عليه نخبة من الأفاض الذين برزوا بعده في مجال التدريس والتأليف ، وألف كتباً قيمة ومؤلفات نافعة في المذهب وغيره ، تلقاها العلماء بالقبول والتقدير .

(١) تاريخ دمشق (٢٦٩/٢/١٧) ، تبين كذب المفترى (٢٨٦) . سير أعلام النبلاء (١٤٠/١٩) ، طبقات الشافعية للسبكي (٢٨/٤) .

(٢) تاريخ دمشق (٢٦٩/٢/١٧) ، تبين كذب المفترى (٢٨٦) ، المعجم (٢٠٨) ، مرآة الجنان (١٥٣/٣) ، طبقات الشافعية (٢٨/٤) .

وكان رحمته الله زاهداً ، عابداً ، ورعاً ، عاملاً ، متبتلاً ، متوكلاً على الله ، منيباً إليه ، اختار منهج السلف في سلوكه من التقشف ، والزهد في الدنيا والتزهد عن الدنيا ، وتجنب السلطان ، ورفض الطمع ، والاجتزاء باليسير ، فلم يهتم بحطام الدنيا إلا بما يسد رمقه ويقيم صلبه ، ولم يقبل صلة من أحد ، بل كان يقتات من غلة تحمل إليه من أرض له بنابلس ، فيخبز له كل يوم قرصة في جانب الكانون (١) .

قال الحافظ ابن عساكر : (ذكر لنا ناصر بن عبد الرحمن النجار ، وكان يخدمه ، من زهده وتقلله ، وتركه تناول الشبهات أشياء عجيبة) (٢) .

وقال النووي : (وله حكايات في الورع يطول الكتاب بذكرها) (٣) .

وكان فصيحاً بليغاً راسخاً في كثير من العلوم ، ذكياً بهياً ، طيب المجالسة ، قوي الفراسة ، أنيس المشاهدة ، فقد زاره تاج الدولة تتش بن ألب أرسلان ، فلم يقم له ، وسأله عن أحل الأموال التي يتصرف فيها السلطان ، فقال : (أحلها أموال الجزية) فخرج من عنده وأرسل إليه بمبلغ من المال ، وقال : هذا من مال الجزية ، ففرقه علي الأصحاب فلم يقبله ، وقال : لا حاجة لنا إليه ، فلما ذهب الرسول لأمه الفقيه أبو الفتح نصر الله بن محمد المصيصي وقال له : قد علمت حاجتنا إليه فلو كنت قبلته وفرقته فينا ، فقال له : لا تجزع من فواته ،

(١) تاريخ دمشق (٢٦٩/٢/١٧) ، تبين كذب المفتري (٢٨٦) ، عيون التواريخ (٧٨/١٣) .

القرص : من الخبز ، وما أشبهه ، وقد يقال : للصغيرة جداً (قرصة) لسان العرب (٧١ / ٧) .

(٢) تاريخ دمشق (٢٦٩/٢/١٧)

(٣) تهذيب الأسماء واللغات (١٢٦/٢) .

فسوق يأتيك من الدنيا ما يكفيك فيما بعد ، فكان كما تفرس فيه ،
- رحمه الله - (١) .

وهكذا قضى حياته مستغرقة في أمور الخير ، إما في إصلاح عمل ،
وإما في نشر علم إلى أن وافته المنية ، فمات في دمشق سنة تسعين
وأربع مائة (٢) .

صفاته الخلقية والخلقية :

أما المعرفة عن أوصافه الخلقية : فإن المصادر التاريخية وكتب
التراجم ضنت علينا بالأخبار في هذا الصدد ، ولم تذكر سوى ما قيل
إنه كان ضخماً سميناً حينما كان غلاماً يافعاً في سن الصبا ، ولكن لما
كبر وبلغ رشده وتحمل المسؤولية وشعر بأهميتها في أدائها ، وانكب
على طلب العلم ، وقنع باليسير ، وواجه المصائب والشدائد والمحن
في سبيل طلب العلم ، فلم يبق منه غير اللحم والدم .
وذكر تلميذه نصر الله المصيبي : (كان الفقيه نصر المقدسي
ربعة) (٣) .

وقوله هذا يدل على أنه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كان مربع الخلق ليس طويلاً ولا
قصيراً .

(١) تاريخ دمشق (٢٦٩/٢/١٧) ، سير أعلام النبلاء (١٣٩/١٩) ، طبقات الشافعية للسبكي
(٢٨/٤) .

(٢) سير أعلام النبلاء (١٤٢/١٩) .

(٣) سير أعلام النبلاء (١٤٢/١٩) . وفي لسان العرب (١٠٧/٨) : رجل مربع ومرتبّع ، ومرتبّع
وربّع ربّعة وربّعة : أي مربع الخلق لا بالطويل ولا بالقصير .

وأما صفاته الخلقية : فكانت شخصيته تدور في نطاق كبير من الزهد والورع والتقوى ، ومن الدين والعلم والتواضع ، متصفة بالأخلاق الفاضلة ، والعادات النبيلة .

وصدق الذهبي واليافعي حين وصفاه : فقال الذهبي (أبو الفتح الزاهد ، شيخ الشافعية بالشام ، وصاحب التصانيف ، كان إماماً علامة مفتياً محدثاً حافظاً زاهداً متبتلاً ورعاً كبير القدر ، عديم النظير)^(١) .

وقال اليافعي : (الإمام العالي المقام ، الصالح المشهور ، مفتي الأنام ، الفقيه الزاهد ، الورع العابد ، ذو المناقب العديدة ، والسيرة الحميدة ، أبو الفتح شيخ الشافعية بالشام ، نصر بن إبراهيم المقدسي النابلسي صاحب التصانيف)^(٢) .

فكان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صالحاً ديناً ورعاً عفيفاً ، حريصاً على اتباع السنة والتمسك بها ، شديداً على أهل البدع والأهواء ، متأسياً بطريقة السلف وسنن الصالحين ، صواماً قواماً مُذَكِّراً بالله داعياً إليه ، مسارعاً إلي الأعمال الصالحة ، متحلياً بالأخلاق الحسنة ، مواسياً بجاهه وماله ، ذا لسان وبيان ، تلتفت إليه الأنظار ، وتصغى إليه الأفتدة ، وتهوى إليه القلوب .

قال الحافظ ابن عساكر : (لو كان الفقيه أبو الفتح في السلف لم تقصر درجته عن واحد منهم لكنهم فاقوه بالسبق)^(٣) .

(١) العبر في خبر من غير (٣٦٢/٢) .

(٢) مرآة الجنان (١٥٢/٣) .

(٣) تبين كذب المفتري (٢٨٧) .

زهده وورعه :

إن علماءنا من السلف كان من دأبهم الجمع بين العلم النافع والعمل الصالح والسلوك الطيب ، لأن الهدف الأساسي للعلوم الشرعية ، هو تربية النفوس على ممارسة الأعمال الطيبة ، فالأعمال هي ثمرات العلم ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [فاطر : ٢٨] .

ومن هذا المنطلق أنهم آثروا الحياة الآخروية الأبدية الباقية ، على الدنيا الدنية الفانية ، وطيب حياتها ورغادة عيشها ، فلم يفتنوا بزهرتها ونضارتها ، واكتفوا بالأخذ منها ما يسد رمقهم ويقيم صلبهم ، فسلكوا سبيل الوسط ، فلم يفرطوا في أخذ الدنيا والتناول منها ، ولم يفرطوا في حقوق الناس وأداء واجباتهم ولكن تجنبوا ما قد يضرهم فتدخل فيه المحرمات والشبهات ، لأنها قد تضرهم فمن اتقى الشبهات استبرأ لعرضه ودينه ، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه . فامتازوا بين أهل عصرهم بزهدهم في الدنيا ، وتنزههم عن الدنيا ، وورعهم عن الشبهات ، وخشيتهم الله وتقواهم ، وتوكلهم عليه وإنابتهم إليه ، طبقاً لقول رسول الله ﷺ : « مالي والدنيا إنما أنا كراكب قال في ظل شجرة ثم راح وتركها » (١) .

(١) رواه أبو دواد الطيالسي في مسنده / منحة المعبود (١٢٠/٢) ، وعبد الله بن المبارك في الزهد (٥٤) ، وابن سعد في الطبقات (٤٦٧/١) ، وأحمد في مسنده (٢٩١/١) ، والترمذي في سننه كتاب الزهد باب (٤٤) ، (٥٨٨/٤) . وابن ماجه في سننه كتاب الزهد ، باب مثل الدنيا (١٣٧٦/٢) ، وأبو يعلى في مسنده (٢٤٥/٢أ) ، والطبراني في الأوسط (٢٩٧/٢) ، والحاكم في المستدرک (٣١٠/٤) . كلهم عن المسعودي عن عمرو بن مرة عن إبراهيم عن علقمة عن ابن مسعود مرفوعاً .

وقوله ﷺ : « كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل » (١) .
ومن هؤلاء العلماء الذين اشتهروا بزهدهم ، وطار صيت ورعهم
وعبادتهم ، المؤلف - نصر المقدسي رحمه الله - فالباحث في حياته إذا
تبع المصادر والمراجع ، يجد فيها مثال العالم العامل الورع الزاهد ،
فقل من أورد اسمه أو تعرض لترجمته أغفل ذكر هذه الصفة .
فقد وصفه به - كما أشرنا إليه - كل من الحافظ ابن عساكر ، والإمام
النووي ، وأبي الحسن البكري ، وابن الأبار ، والحافظ الذهبي ،
واليافعي ، والسبكي ، والأسنوي ، ومجير الدين الحنبلي ، و حاجي
خليفة ، وإسماعيل باشا البغدادي ، والزركلي ، ورضا كحالة ، وناصر
الدين الألباني .

وشرح هذا الجانب من حياته الحافظ ابن عساكر ، فقال : (كان ﷺ
فقيهاً فاضلاً وزاهداً عاملاً ، أقام بدمشق مدة ، لم يقبل من أحد من أهلها
صلة وكان يقتات من غلة تحمل إليه من أرض كانت له بنابلس ، وكان
يخبز له منها كل ليلة قرص في جانب الكانون) .

وحكى له ناصر بن عبد الرحمن النجار وكان يخدمه من زهده وتقلله
وتركه تناول الشبهات أشياء عجيبة (٢) .

وقال ابن الأبار (يحدث ويدرس إلي أن مات عاكفاً

(١) أخرجه البخاري في صحيحه واللفظ له : كتاب الرقاق ، باب قول النبي ﷺ : (كن في الدنيا كأنك غريب
أو عابر سبيل) (١١٠/٨) ، وابن حبان في صحيحه (٥٧/٢) ، والخطابي في العزلة (٣٩) ، والطبراني في
الكبير (٣٩٨/١٢) ، وأبو نعيم في الحلية (٣٠١/٣) . كلهم عن مجاهد عن ابن عمر مرفوعاً .

(٢) تاريخ دمشق (٢٦٩/٢/١٧) .

على العلم والعمل متصفاً بالزهد والنزاهة (١) .
 ووصفه النووي بقوله : (الإمام الزاهد المجمع على جلالته
 وفضيلته) (٢) .

كما وصفه الذهبي فقال : (كان إماماً علامة مفتياً محدثاً ، حافظاً ،
 زاهداً ، متبتلاً ، ورعاً ، كبير القدر ، عديم النظر) (٣) .
 وقال الأسنوي : (صاحب التصانيف المشهورة والعمل الكثير
 والزهد الصادق) (٤) .

وذكره اليافعي فقال : (الإمام العالي المقام ، الصالح المشهور ،
 مفتي الأنام ، الفقيه الزاهد ، الورع العابد ، ذو المناقب العديدة
 والسيرة الحميدة أبو الفتح شيخ الشافعية بالشام) (٥) .

وهذه الأقوال إن دلت على شيء فإنما تدل على أنه ﷺ كان عالماً
 عاملاً أمة في الخير ، أخذاً بطريقة السلف ، وسنن الصالحين ، زاهداً في
 متاع الدنيا ، مجانباً السلطان ، فقد زاره تاج الدولة تتش بن ألب أرسلان
 يوماً فلم يقيم له ، ولا التفت إليه ، وكذا ابنه الملك دقاق ، فسأله عن أحل
 الأموال التي يتصرف فيها السلطان ، فأجاب نصر المقدسي : (أحلها
 أموال الجزية) فقام من عنده وأرسل إليه بمبلغ من المال ، وقال : هذا

(١) المعجم (٢٠٨) .

(٢) تهذيب الأسماء واللغات (١٢٥/٢) .

(٣) العبر (٣٦٣/٢) .

(٤) طبقات الشافعية (٣٨٩/٢) .

(٥) مرآة الجنان (١٥٢/٣) .

من الجزية ، ففرقه على الأصحاب ، فلم يقبله ، وقال لا حاجة بنا إليه ، فلما ذهب الرسول لأمه الفقيه نصر الله المصيبي وقال : قد علمت حاجتنا إليه ، فقال : (لا تجزع من فوته ، فسوف يأتيك من الدنيا ما يكفيك فيما بعد فكان كما تفرس فيه) (١) .

وكان صواماً قواماً مستجاب الدعوات عابداً خشياً تقياً ورعاً ، حتى في رواية الحديث وحمله ، فقد ذكر تلميذه نصر الله المصيبي عن الفقيه نصر قال : (أدركت القضاء لو أردت أن اسمع منه لفعلت ، ولكن تورعت لأجل أنه كان يتوسل للمصريين) (٢) .

وقال الحافظ ابن عساكر : (قرأت بخط أبي الفرج غيث بن علي : حضرت الفقيه نصر يوماً وهو يقرأ أجزاء ، فجاء في أثناء القراءة قوم ، وجاء بعدهم صبي صغير ، فلما فرغ الجزء ، سأله أن يعيد الفائت فأعاد لهم ، فلما اتصل سماعه أراد أن يمسك ، ثم قال : لا حتى أعيد فائت هذا الصغير لأنني أخاف أن أسأل عنه ، لم كان هؤلاء أحق بالإعادة منه؟ وأعاد له قائمة) (٣) .

هكذا كان شأن علماءنا من السلف ، لأن العلم بالكتاب والسنة يناسب مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم ، فكانوا يجذبون الناس بأخلاقهم ، وسلوكهم ، قبل أن يجذبوهم بعلومهم ومعارفهم .

(١) تبين كذب المفترى (٢٨٧)

(٢) سير أعلام النبلاء (١٤٣/١٩) .

(٣) تاريخ دمشق (٢٦٩/٢/١٧) .

حبه لطلبة العلم وإنفاقه عليهم :

كان عليه السلام جواداً سخياً يحب طلبة العلم ويكرمهم ، ويدعوهم فيطعمهم ويسقيهم ، ويلطف بهم ، وينفق عليهم من ماله كثيراً .
فقد روى الحافظ ابن عساكر عن تلميذه عليه السلام نصر الله المصيصي أنه قال : (وكان في القدس يعمل الدعوات لتلاميذه ، وينفق عليهم شيئاً كثيراً) (١) .

وفي هذا دليل على اهتمامه بطلبة العلم وإكرامه لهم وإنفاقه عليهم ، وأن الجود كان سجيته والسخاء عادته .

مجانبته الحكام والولاة :

اختلف آراء أهل العلم ومواقفهم في التعامل مع أصحاب السلطة في مختلف العصور ، حيث اهتم كثير منهم بأن تكون علاقتهم مع الأمراء والولاة مبنية على الأسس السليمة والمبادئ القيمة ، فحافظوا على العلاقات الطيبة ، معهم ، وذلك للقيام على أداء واجب النصيحة ، وتقديم الموعدة الحسنة ، وتنظيم أمور دينهم ودنياهم .

بينما سلك البعض مسلكاً آخر ، حيث كرهوا الاختلاط بأهل السلطة ، وحضور مجالس الأمراء ، وقبول المساعدة منهم مهما كان نوعها وشكلها ، لما رأوا فيه من عدم الجدوى وقله الفائدة ، بل إنهم عابوا على من يحصل منه الدخول على السلطان .

(١) سير أعلام النبلاء (١٤٣/١٩)

وكل هذا كان تورعاً منهم عن الوقوع في الشبهات ، وخشية على أنفسهم من التقصير عن أداء الواجب من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإبراء للذمة أمام الله سبحانه ، وابتعاداً عن مظان الظلم والفتن .

وكان من هؤلاء الذين تجنبوا السلطة وأصحابها المؤلف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . وقد أشاد بذكر هذا الموقف الجليل ، كل من الحافظ ابن عساكر والسبكي .

قال ابن عساكر : (كان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على طريقة واحدة من الزهد في الدنيا والتنزّه عن الدنيا ، والجري على منهاج السلف ، من التقشف وتجنب السلطان ، ورفض الطمع والاجترأ باليسير) (١) .

وقال السبكي : (وهو على طريقة واحدة من الزهد والتقشف وسلوك منهاج السلف ، متقشفاً متجنباً ولاية الأمور) (٢) .

وهذا يدل على أنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عاش مبجلاً مكرماً ، زاهداً في متاع الدنيا ، مجانباً السلطان ، فلم يحضر مجلسه ولم يلتفت إليه ، ولم يقبل منه أية صلة ، ويوضح هذا ما ذكره الحافظ ابن عساكر أن السلطان تاج الدولة تتش بن ألب أرسلان زار الفقيه نصرأ يوماً ، فلم يقم له ولا التفت إليه ، وكذا ابنه الملك دقاق ، فسأله عن أحل الأموال التي يتصرف فيها السلطان قال : (أحلها أموال الجزية) فقام من عنده وأرسل إليه بمبلغ من

(١) تاريخ دمشق (٢٦٩/٢/١٧) .

(٢) طبقات الشافعية (٢٨/٤) .

المال ، وقال : هذا من الجزية ، ففرقه علي الأصحاب ، فلم يقبله ، وقال : (لا حاجة بنا إليه) فلما ذهب الرسول ، لامه الفقيه نصر الله المصيصي وقال : قد علمت حاجتنا إليه ، فقال : (لا تجزع من فواته فسوف يأتيك من الدنيا ما يكفيك فيما بعد فكان كما تفرس فيه) (١) .



(١) تاريخ دمشق (٢٦٩/٢/١٧) . قلت : إن الإخبار عما سيحدث في المستقبل ، أو الإشارة إلي الكوائن المحملة أو المفصلة قبل أن تكون من الأمور الغيبية التي لا يعلمها إلا الله ، وقد قال سبحانه : ﴿ قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله ﴾ [النمل : ٦٥] .

المبحث الثالث

وفاته

أجمعت المصادر التاريخية وكتب التراجم على أن وفاة أبي الفتح كانت في شهر المحرم من سنة تسعين وأربع مائة .
ولكن وجد خلاف في تحديد اليوم من ذلك الشهر .
فقد ذكر أكثر المترجمين له أن وفاته كانت في يوم عاشوراء من شهر المحرم (١) .

كما صرح الآخرون بأنه مات يوم الثلاثاء التاسع من شهر المحرم (٢) .
وقال الأسنوي في طبقات الشافعية : « إنه مات يوم تاسوعاء » (٣) .
فلا تعارض بين القولين المذكورين لأن كلمة « عاشوراء » تطلق على اليوم العاشر من المحرم كما تطلق على اليوم التاسع ، وكذلك التاسوعاء (٤) .

وخالفهم جميعا أبو محمد بن الصاعد فقال : إنه توفي يوم الحادي

(١) قاله الذهبي في العبر (٣٦٣/٢) ، وفي سير أعلام النبلاء (١٤٢/١٩) ، وفي دول الإسلام (١٩/٢) والياضي في مرآة الجنان (١٥٣/٣) ، ومجير الدين الحنبلي في الإنس الجليل (٢٩٨/١) ، وابن العماد في شذرات الذهب (٣٩٥/٣) .

(٢) ذكر الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٦٩/٢/١٧) ، وفي تبين كذب المفترى (٢٨٧) ، وابن الأبار في المعجم (٢٠٩) ، والنوري في تهذيب الأسماء واللغات (١٢٥/٢) ، والسبكي في طبقات الشافعية (٢٩/٤) .

(٣) طبقات الشافعية للأسنوي (٣٩٠/٢) .

(٤) لسان العرب (٥٦٩/٤ ، ٣٥/٨) .

عشر من شهر المحرم ^(١) ، ولعل هذا وهم منه لأنه خلاف ما ذهب إليه الأكثرون .

وأما ما ذكره الحافظ ابن عساكر في « تاريخ دمشق » ^(٢) . وابن الأبار في « المعجم » ^(٣) ، عن أبي محمد الأكفاني بأنه توفي اليوم العاشر من شهر المحرم ، فلا تعارض بينه وبين ما قاله الآخرون ، فقد أراد بيوم وفاته اليوم الذي دفن فيه ، ولم ينكر أحد أن دفن اليوم العاشر من المحرم .

قال تلميذه نصر الله بن محمد بن عبد القوي المصيبي : « توفي أبو الفتح الزاهد في يوم الثلاثاء التاسع من المحرم سنة تسعين وأربع مائة بدمشق » ^(٤) .

وقال : « إنه قبل موته بلحظة سمعه وهو يقول : يا سيدي أمهلوني ، أنا مأمور وأنتم مأمورون ، ثم سمعت المؤذن يؤذن العصر فقلت : يا سيدي المؤذن يؤذن ، فقال : أجلسني فأجلسته ، فأحرم بالصلاة ووضع يده على الأخرى فصلى ، ثم توفي من ساعته رحمه الله » ^(٥) .

قال : « وخرجنا بجنائزته بعد صلاة الظهر يعني يوم الأربعاء ، فلم

(١) تاريخ دمشق (٢٦٩/٢/١٧) ، المعجم (٢٠٩) .

(٢) تاريخ دمشق (٢٦٩/٢/١٧) .

(٣) المعجم (٢٠٩) .

(٤) تبين كذب المفتري (٢٨٧) .

(٥) سير أعلام النبلاء (١٤٢/١٩) .

يمكننا دفنه إلى قريب المغرب لأن الناس حالوا بيننا وبينه ، وكان الخلق متوافرا» (١) .

قال الحافظ ابن عساكر : « ذكر الدمشقيون أنهم لم يروا جنازة مثلها » (٢) .

وذكر النووي : « أنه دفن في باب الصغير وقبره بجانب قبر معاوية وأبي الدرداء رضي الله عنهما » (٣) .

هكذا كانت وفاته - رحمه الله - بعد عمر مديد ، بلغ نيفاً وثمانين سنة كله خير وبركة ؛ إذ بذل الجزء الكبير منه خادماً للعلم ، مؤلفاً في شتى المجالات العلمية ، داعياً إلى الله ، أمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر زاهداً في متاع الدنيا عابداً لله منيباً إليه ، تغمدته الله برحمته وأسكنه فسيح جناته .



(١) تبين كذب المفتري (٢٨٧) .

(٢) تاريخ دمشق (٢٦٩/٢/١٧) ، تبين كذب المفتري (٢٨٧) .

(٣) تهذيب الأسماء واللغات (١٢٦/٢) .

الفصل الثاني
في حياة السيدة الشخصية

المبحث الأول

رحلاته العلمية ، شيوخه ، تلاميذه

رحلاته العلمية :

إن الرحلة في طلب العلم ورواية الأحاديث عادة قديمة وسنة متبعة ، دأب عليها سلفنا الصالح من الصحابة والتابعين منذ فجر الإسلام . فكان الصحابة رضي الله عنهم ثم التابعون رحمهم الله يرحل بعضهم إلى بعض لسماع حديث اختصه بتحملة واحد منهم دون سواه ، أو التثبت من حديث بلغه ذكره عن أحدهم ، فكانوا يقطعون الفيافي والقفار ويرتحلون في طلب العلم إلى المدن والأمصار ، ويتحملون متاعب الأسفار ، حتى إن أحدهم ليرحل في طلب العلم ورواية الحديث إلى المسافات الشاسعة والمدن البعيدة .

فقد روى الإمام أحمد في « مسنده » والحاثر بن أبي أسامة في « مسنده » والبخاري في « الأدب المفرد » - واللفظ له - عن ابن عقيل أن جابر بن عبد الله حدثه ، أنه بلغه حديث عن رجل من أصحاب النبي ﷺ ، فابتعت بعيرا فشددت إليه رحلي شهرا ، حتى قدمت الشام ، فإذا عبد الله بن أنيس ، فبعثت إليه أن جارا بالبواب ، فرجع الرسول فقال : جابر بن عبد الله ؟ فقلت : نعم ، فخرج فاعتقني ، قلت : حديث بلغني لم أسمع ، خشيت أن أموت أو تموت . قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « يحشر الله العباد - أو الناس - عراة غرلا بهما » قلنا : ما بهما ؟ قال : « ليس معهم شيء ، فيناديهم

بصوت يسمعه من بعد ، أنا الملك ، لا ينبغي لأحد من أهل الجنة يدخل الجنة وأحد من أهل النار يطلبه بمظلمة ، ولا ينبغي لأحد من أهل النار يدخل النار ، وأحد من أهل الجنة يطلبه بمظلمة » ، قلت : وكيف ؟ وإنما نأتي الله عراة بهما ؟ قال : « بالحسنات والسيئات » (١) .

وروى الخطيب في الجامع عن أبي العالية أنه قال : « كنا نسمع الرواية عن أصحاب رسول الله ﷺ بالبصرة فلم نرض حتى ركبنا إلى المدينة فسمعنا من أفواههم » (٢) .

ثم تتابعت الأجيال الإسلامية على هذا النهج ، فقد كانوا يضربون أكباد الإبل ، ويرحلون إلى أقطار العالم الإسلامي شرقا وغربا ، ليزدادوا علما ومعرفة ، حتى صارت الرحلة مقياسا لمعرفة تحصيلاتهم العلمية .

فهذا الخطيب البغدادي قد حاول خصومه اتهامه بانتحال مصنفاة زاعمين أنها لشيوخه محمد بن علي الصوري ، كما نقل عن ابن الطيوري قوله : « أكثر كتب الخطيب سوى تاريخ بغداد مستفاد من كتب الصوري ، كان الصوري ابتداء بها ، وكانت له أخت بصور ، مات الصوري وخلف عندها عدلا مخروما من الكتب فلما خرج الخطيب إلى الشام حصل من كتبه ما صنف منها كتبه .

فقد عقب الحافظ الذهبي على هذه الرواية بقوله : ما الخطيب

(١) مسند الإمام أحمد (٣/٤٩٥) ، بغية الباحث (٤١) ، الأدب المفرد (٢٥٢) .

(٢) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (٢/٢٨٢) .

بمفتقر إلى الصوري ، هو أحفظ وأوسع رحلة . . . « (١) .
وأكد العلماء على أنه ينبغي لطالب العلم أن يبدأ بكتب حديث بلده
ومعرفة أهله ، وتفهمه وضبطه حتى يعلم صحيحه وسقيمه ، ويعرف
أهل التحديث به وأحوالهم معرفة تامة ، إذا كان في بلده علم وعلماء
قديمًا وحديثًا ، ثم يشتغل بعد بحديث البلدان والرحلة فيه (٢) .
وللرحلة فوائد عظيمة : من معرفة طرق الحديث ، وتحصيل علو
الإسناد ، وقدم السماع ، ولقاء الحفاظ والمذاكرة لهم ، والاستفادة
منهم . كما ذكره الخطيب في « الجامع لأخلاق الراوي وآداب
السامع » (٣) .

ولذا نرى أن أهل العلم كانوا يشجعون طلبة العلم ورواة الحديث ،
ويحثونهم على الارتحال إلى أماكن وجود العلماء والمحدثين .
فقد روى البيهقي بإسناده عن كثير بن قيس قال : كنت جالساً عند
أبي الدرداء في مسجد دمشق ، فأتاه رجل فقال : يا أبا الدرداء . . .
أتيتك من المدينة مدينة رسول الله ﷺ لحديث بلغني أنك تحدث به
عن النبي ﷺ قال : فما جاء بك تجارة ؟ قال : لا ، قال : ولا جاء
بك غيره ؟ قال : لا ، قال : فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول :
« من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة ، وإن

(١) سير أعلام النبلاء (٢٨٨/١٨) ، وراجع التفصيل في موارد الخطيب في تاريخ بغداد (٣٤) .

(٢) تاريخ بغداد (٢١٤/١) .

(٣) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (٢٨١/٢) .

الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم ، وإن طالب العلم يستغفر له من في السماء والأرض ، حتى الحيتان في الماء ، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب . إن العلماء ورثة الأنبياء ، إن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما ، إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر « (١) .

وقال الشعبي : « لو أن رجلا سافر من أقصى الشام إلى أقصى اليمن لسمع كلمة حكمة ، ما رأيت أن سفره ضاع » (٢) .
وقال إبراهيم بن أدهم : « إن الله عز وجل يدفع البلاء عن هذه الأمة برحلة أصحاب الحديث » (٣) .

وقد مضى المؤلف نصر ﷺ على سنن أهل العلم من قبله ، فلم يكتف بالأخذ عن شيوخ بلده ، ولكن رحل إلى مدن أخرى وأخذ العلم عن علمائها ، ومن البلدان التي ارتحل إليها :

١ - القدس :

انتقل المؤلف نصر ﷺ إلى القدس مع أسرته واستقر بها المقام ، وهو صغير في سن الصبا ، فنشأ فيها ، وأخذ العلم عن علمائها (٤) ، وبقي فيها نحو عشرين عاما ، إلى أن خرج منها قبل الثلاثين وأربع

(١) البيهقي في سننه (٨١/١) .

(٢) جامع بيان العلم وفضله (٩٥/١) .

(٣) الخطيب في شرف أصحاب الحديث (٥٩) ، وفي رحلة أصحاب الحديث (٩٠) .

(٤) تاريخ دمشق (٢٦٩/٢/١٧) ، المعجم (٢٠٨) .

مائة إلى دمشق^(١) ، ثم عاد إليها بعد أربع سنوات وبقي فيها إلى سنة سبعين وأربعمائة ، وهي فترة غامضة من حياته ، حيث لا تذكر المصادر من أعماله ورحلاته العلمية ، سوى إفادته من أبي الغنائم محمد بن علي بن ميمون بن محمد النرسي الكوفي .

ولعله كان عاكفا على تصنيف كتابه « الانتخاب » فاحتاج إلى الانزواء عن الحياة العامة ليتفرغ له .

وبقي في بيت المقدس نحو ثلاثين عاما ، فقد روى في مؤلفاته عن عدد من الشيوخ الذين لقيهم في بيت المقدس من أهلها أو الوافدين عليها خلال زيارته المتكررة لها ثم فترة إقامتها الطويلة فيها وهم :

أبو القاسم عمر بن أحمد الواسطي ، وأبو العزائم محمد بن محمد ابن الفراء البصري ، وأبو الفرج عبيد الله بن محمد المراغي النحوي ، وأبو بكر محمد بن الحسن البشنوي الصوفي ، وأبو الفتح عاصم بن محمد بن أبي مسلم الدينوري ، وأبو الفتيان عمر بن عبد الكريم بن سعدويه الدهستان الرواسي وغيرهم .

٢ - دمشق :

زار أبو الفتح دمشق مرارا ، وأول زيارة كانت قبل سنة الثلاثين وأربعمائة ، وهو في العشرين من عمره كما ذكره الذهبي في « سير

(١) سير أعلام النبلاء (١٣٦/١٩) .

أعلام النبلاء « (١) .

وفي هذه الرحلة التقى بأبي الحسن علي بن موسى بن الحسين بن السمسار ، صاحب الفقيه أبي زيد المروزي ، وتلميذ أبي الحسن الدارقطني ، فسمع منه الجامع الصحيح للبخاري ، ولا شك أن هذا السماع ليس السماع الأول له لصحيح البخاري ، فقد سبق أن قرأه على بعض مشايخه في بيت المقدس ولكن ابن السمسار يرويه بسند عال ، فقد روى عن شيخه أبي زيد المروزي عن أبي عبد الله محمد بن يوسف القبري راوي الجامع الصحيح ، فلم يكن بينه وبين الإمام البخاري سوى راويين . وطلب الإسناد العالي مما يحرص عليه كل عالم ومحدث .

وفي هذه الزيارة لدمشق سمع أيضا من أبي الحسن محمد بن عوف بن أحمد بن محمد المزني الدمشقي وأخذ عنه أكثر مادة ابن أبي حاتم الرازي . وكذلك التقى فيها بأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد العزيز بن أحمد المعروف بابن الطييز ، وأبي علي الحسن بن علي بن إبراهيم بن يزداد الأهوازي وأبي عبد الله محمد بن عبد السلام بن عبد الرحمن الجذامي ، وأبي عبد الله محمد بن علي بن يحيى بن سلوان المازني الدمشقي ، وعبد العزيز بن أحمد بن محمد بن علي بن سليمان الدمشقي ، من علماء دمشق ، وبأبي الفرج محمد بن عبد الواحد بن محمد بن عمر بن ميمون الدارمي البغدادي الشافعي نزيل دمشق ، وأبي الحسين محمد بن مكّي بن عثمان المصري الأزدي ، وأبي زكريا عبد الرحيم بن أحمد بن

(١) سير أعلام النبلاء (١٣٦/١٩) .

نصر بن إسحاق التميمي البخاري ، وأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد العزيز السراج الحلبي ، من الواردين إليها (١) .
ثم قدم دمشق مرة أخرى في النصف من شهر صفر سنة إحدى وسبعين وأربعمائة (٢) ، والتقى فيها بشيخين بارزين وهما : أبو محمد الحسن بن علي بن عبد الواحد بن الموحد السلمي ، وأبو القاسم علي بن محمد بن أحمد بن أبي العلاء المصيبي الدمشقي الفرضي .
وأما زيارته الثالثة والأخيرة فكانت بعد عشر سنوات حيث خرج من صور ووصل إلى دمشق ، ومكث فيها فترة طويلة لم يمكثها في مدينة أخرى سوى بيت المقدس ، يعقد مجلسه للعلم في الجامع الأموي وبقي فيها إلى أن مات ، وكان وصوله إليها في سنة ثمانين وأربعمائة كما ذكر الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣) .

٣ - غزة (٤) :

زار غزة إثر عودته من دمشق في أول رحلته ، فالتقى فيها بأبي بكر محمد ابن جعفر الميماسي ، وسمع منه الموطأ للإمام مالك ، لأنه كان يرويه بسند عال فقد رواه عن أبي بكر محمد بن العباس بن

(١) تاريخ دمشق (٢٦٩/٢/١٧) ، سير أعلام النبلاء (١٣٧/١٩) ، المعجم (٢٠٨) ، طبقات الشافعية للسبكي (٢٨/٤) .

(٢) تاريخ دمشق (٢٦٩/٢/١٧) .

(٣) أيضا .

(٤) غزة : مدينة في أقصى الشام من ناحية مصر ، بينها وبين عسقلان فرسخان أو أقل ، وهي من نواحي فلسطين غربي عسقلان .

وصيف الغزي عن أبي علي الحسن بن الفرغ الأزدي عن يحيى بن بكير المخزومي تلميذ الإمام مالك وراوي الموطأ (١) .

٤ - صيدا (٢) .

رحل إلى صيدا ، فالتقى فيها بأبي الحسن علي بن الحسن بن محمد ابن أحمد ابن جميع الغساني ، فروى عنه سماعا وإجازة ، كما روى عن هبة الله بن سليمان (٣) ، ولا يعرف تاريخ وصوله إليها ، ولكن يبدو أنه كان ما بين سنتي ٤٣٥-٤٣٧ هـ ، وجدير بالذكر أن نصرا روى أيضا عن أبي محمد الحسن بن محمد بن أحمد بن جميع من أهل صيدا ولكن إجازة (٤) .

٥ - صور (٥) :

قدم إلى صور مرات ، فقد وصل إليها في أول رحلاته العلمية في

(١) العبر (٣/٣٢٩) ، سير أعلام النبلاء (١٩/١٣٧) ، طبقات الشافعية للسبكي (٤/٢٨) ، شذرات الذهب (٣/٣٩٥) .

(٢) صيدا : بفتح الصاد ثم السكون والبدال المهملة والمد - وهي مدينة على ساحل بحر الشام من أعمال دمشق شرقي صور بينهما ستة فراسخ . معجم البلدان (٣/٤٣٧) .

(٣) المعجم (٢٠٨) .

(٤) سير أعلام النبلاء (١٩/١٣٧) .

(٥) صور : بضم أوله وسكون ثانيه وآخره راء - وهي مدينة مشهورة ، سكنها خلق من الزهاد والعلماء ، وكان من أهلها جماعة من الأئمة ، كانت من ثغور المسلمين وهي مشرفة على بحر الشام . معجم البلدان (٣/٤٣٣) .

سنة سبع وثلاثين وأربعمائة^(١) ، وأقام فيها أربع سنوات حيث لازم الفقيه سليم بن أيوب الرازي فانتفع به^(٢) ، وأخذ منه أكثر مادة أبي الحسن الدارقطني ، وهو يرويه عن ثلاثة شيوخ له ، وهم : أحمد بن محمد الرازي ، وأبو حامد الاسفرائيني ، وأحمد بن عبد الله الرازي ، تلاميذ الدارقطني عن الدارقطني به^(٣) .

وكان للفقيه سليم بن أيوب الرازي أثر بالغ في مجرى حياة نصر العلمية ، فقد اختار منهجه في تأليف كتابه « الكافي » وكذلك شرح كتاب « الإشارة » له^(٤) .

وبقي أبو الفتح في صور إلى سنة أربعين وأربعمائة . قال غيث بن علي الأرمنازي : سمعت الفقيه نصرا يقول : درست على الفقيه سليم الرازي من سنة سبع وثلاثين وأربعمائة إلى أربعين ، ما فاتني منها درس ولا وجعت إلا يوما واحدا ، وعوفيت ، وسألته في كم التعليقة التي صنفها قال : في نحو ثلاثمائة جزء ، ما كتبت منها حرفا إلا وأنا على وضوء^(٥) .

وفي هذه الرحلة لقي أيضا عبد الوهاب بن الحسين بن عمر بن

(١) سير أعلام النبلاء (١٣٩/١٩) .

(٢) طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٢٧٥/١) .

(٣) وفيات الأعيان (٣٩٧/٢) ، سير أعلام النبلاء (٦٤٥/١٧) .

(٤) طبقات الشافعية للسبكي (٢٨/٤) ، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٢٧٥/١) ، الإنس

الجليل (٢٩٨/١) ، شذرات الذهب (٣٩٦/٣) .

(٥) سير أعلام النبلاء (١٣٩/١٩) .

برهان الغزال البغدادي ، نزيل صور فروى عنه (١) .
كما التقى بأبي الحسن علي بن إبراهيم بن نصرويه السمرقندي الذي
قدم صور حاجا (٢) .

وفي شهر صفر سنة إحدى وسبعين وأربعمائة خرج من بيت
المقدس متوجها إلى دمشق في رحلته الثانية إليها ، وبعد زيارة قصيرة
خرج منها ووصل إلى صور ، فجدد العهد مع من كان عرفهم وأخذ
عنهم من شيوخ هذه البلدة ، وتعرف بآخرين غيرهم ومكث فيها نحو
عشر سنين (٣) ، وعقد مجالسه العلمية رغم سيطرة الرافضة عليها ،
وعدم ارتياحهم من نشاطه العلمي الملموس ، وأخيرا اضطر إلى
الخروج منها ووصل إلى دمشق سنة ثمانين وأربعين وأربعمائة من
الهجرة (٤) .

٦ - آمد (٥) :

وصل إلى ديار بكر وذلك بعد خروجه من صور سنة أربعين
وأربعمائة ، والتقى بأبي عبد الله محمد بن بيان بن محمد الكازروني
فقيه أهل آمد ، فأخذ عنه .

(١) المرجع السابق (١٣٧/١٩) .

(٢) كتاب الأربعين للمؤلف (٤٠) .

(٣) تاريخ دمشق (٢٦٩/١٧) ، طبقات الشافعية للسبكي (٢٨/٤) .

(٤) تاريخ دمشق (٢٦٩/٢/١٧) .

(٥) آمد - بكسر الميم - وهي أعظم مدن ديار بكر وأجلها قدرا وأشهرها ذكرا ، وحدها ما غرب
من دجلة إلى بلاد الجبل المطل على نصيبين إلى دجلة . معجم البلدان (٤٩٤/٢) .

قال الحافظ ابن عساكر : « كان قد تفقه عند أبي الفتح سليم بن أيوب بصور ثم رحل إلى ديار بكر وتفقه عند أبي عبد الله الكازروني » (١) .
وذكر الذهبي في ترجمة الكازروني : أن الفقيه نصرا ارتحل إليه وتفقه عليه (٢) .

وقال السبكي : « تفقه على سليم الرازي بصور ثم دخل إلى ديار بكر وتفقه على محمد الكازروني » (٣) .
وأيضاً التقى فيها بأبي بكر هبة الله بن سليمان الأمدى فروى عنه ، كما ذكر ابن عساكر والسبكي (٤) .
٧ - ميفارقين (٥) :

توجه إلى ميفارقين قاصدا علماءها (٦) ، فأفاد بها من أبي الطيب سلامة بن إسحاق الأمدى ، وأبي القاسم الخضر بن علي الفارقي الذي تحمل عنه أكثر مادة أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة (٧) .
أما تاريخ هذه الرحلة وكذلك المدة التي قضاها في هذه البلدة ، فلم

(١) تاريخ دمشق (٢٦٩/٢/١٧) .

(٢) سير أعلام النبلاء (١٧٢/١٨) .

(٣) طبقات الشافعية (٢٨/٤) .

(٤) تاريخ دمشق (٢٦٩/٢/١٧) ، طبقات الشافعية (٢٨/٤) .

(٥) ميفارقين : - بفتح أوله وتشديد ثانيه ثم فاء وبعد الألف راء وقاف مكسورة وياء ونون - وهي أشهر مدينة بديار بكر ، معجم البلدان (٢٣٥/٥) .

(٦) سير أعلام النبلاء (١٣٧/١٩) .

(٧) كتاب الأربعين للمؤلف (٣٧) ، سير أعلام النبلاء (١٣٧/١٩) .

أجد ذكرها في المصادر التي توصلت إليها .

٨ - عسقلان (١) :

لا يعرف متى زار نصر عسقلان ، وهل زارها في إحدى رحلتيه إلى دمشق أو صور ، أم رحل إليها خاصة ، فقد روى في تحريم نكاح المتعة عن شيخ لقيه فيها وهو أبو بكر محمد بن جعفر اليمامي ، فقال : أنبأنا أبو بكر جعفر بن علي الميماسي قراءة عليه في منزله بعسقلان (٢) .
ويجدر بالذكر أن نصرا لقيه في غزة أيضا كما ذكرت المصادر ، وسبقت إليه الإشارة .

٩ - حران (٣) :

رحل إلى حران ، ولا يعرف تاريخ قدومه إليها ، ولكن صرح بقاء شيخ وهو الشريف أبو طالب عبد الله بن علي العباس فقال : أنبأنا الشريف أبو طالب عبد الله بن علي العباس بحران قراءة عليه في جامعها (٤) .

(١) عسقلان : - بفتح أوله وسكون ثانيه ثم قاف وآخره نون - وهي مدينة بالشام من أعمال دمشق على ساحل البحر بين غزة وبيت جبرين ، وقد نزلها جماعة من الصحابة والتابعين وحدث بها خلق كثير ، معجم البلدان (١٢٢/٤) .

(٢) تحريم نكاح المتعة (٥٦) .

(٣) حران : - بتشديد الراء وآخره نون - وهي مدينة عظيمة مشهورة من جزيرة أقور وهي قسبة ديار مضر ، بينها وبين الرها يوم وبين الرها يومان ، وهي على طريق الموصل والشام . وحران : أيضا قرية بغوطة دمشق . معجم البلدان (٢٣٦/٢) .

(٤) تحريم نكاح المتعة (١) .

١٠ - مكة المكرمة :

لم يذكر عن زيارته لمكة سوى الزركلي في «الأعلام»^(١) ، فأشار إلى أنه قام برحلة إلى مكة واكتفى بهذا ، ولم يذكر تاريخ وصوله إليها ومدة إقامته فيها ، ولكن لما كانت لها مكانة كبيرة في قلوب المسلمين ، فمن الممكن جدا أن شد المؤلف رحمه الله رحله إليها لأداء العمرة أو فريضة الحج . وقد توجد إشارة لطيفة تدل على وجوده في مكة ، فذكر الذهبي في « سير أعلام النبلاء » عن نصر الله بن محمد بن عبد القوي المصيبي عن نصر الفقيه قال : أدركت القضاعي - أبا عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر - ولو أردت أن أسمع منه لفعلت ، ولكنني تورعت لأجل أنه كان يتوسل للمصريين ، ثم احتجت في التخريج فرويت عنه بالإجازة^(٢) . وتلميحه هذا قد يشير إلى رحلته إلى مكة والتقائه بالقضاعي فيها ، وقد تكون هذه الرحلة ما بين سنتي ٤٤٠ - ٤٥٤ هـ ، وهو العام الذي نزل فيه القضاعي مكة حتى مات فيها .

١١ - بغداد :

لم أعر على نص يدل على أن المؤلف زار بغداد سوى ما ذكر الزركلي في «الأعلام» : أنه قام برحلة إليها^(٣) ، ولم يفدنا بأية

(١) الأعلام (٢٠/٨) . قلت : لم أتمكن من الاطلاع على كتاب الأعلام لابن قاضي شعبة الذي ذكره الزركلي ضمن المراجع ولعل ذكره هذه الرحلة فيه .

(٢) سير أعلام النبلاء (١٤٣/١٩) .

(٣) الأعلام (٢٠/٨) .

معلومات عن تاريخ هذه الرحلة والمدة التي قضاها في بغداد ، ولكن رواية المؤلف عن بعض الشيوخ البارزين وهم : أبو الطيب طاهر بن عبد الله الطبري الشافعي فقيه بغداد ، وأبو المعالي ثابت بن بندار بن إبراهيم الدينوري البغدادي ، وأبو نصر علي بن هبة الله بن علي بن جعفر بن علي بن ماکولا البغدادي ، قد تؤيد ما جاء في الإعلام .
 وكان للقاضي أبي الطيب أثر كبير في توجيهه نحو الفقه ، وقد تحمل عنه أبو الفتح مصنفات عديدة في الفقه الشافعي سماعا وإجازة ، واستفاد منه وتأثر من منهجه في الفقه ، حتى ألف كتابه « الانتخاب » واختار فيه منهجه في التأليف .

قال النووي في وصفه : وهو على هيئة تعليق القاضي أبي الطيب الطبري ويحذو حذوه وينقل منه كثيرا (١) .

شيوخه :

إن المكانة الرفيعة التي وصل إليها المؤلف رحمته الله من غزارة علمه وسعة اطلاعه ، مع كثرة إنتاجه العلمي في مختلف مجالات العلوم ، تؤكد لنا أنه أخذ العلوم من كبار علماء عصره في بلاد الشام والوافدين إليها .

وقد قمت بتصفح كتب التراجم ومصادر التاريخ فعثرت على أكثر من خمسين شيخا له إلا أنني أقدم ترجمة موجزة لأبرز المؤثرين في مجرى حياته العلمية ثم أكتفي بذكر أسماء الآخرين مع الإحالة إلى مصادرها .

(١) تهذيب الأسماء واللغات (١٢٦/٢) .

- ١ - محمد بن عوف بن أحمد بن محمد ، أبو الحسن المزني
الدمشقي ، المحدث الحجة .
حدث عن : القاضي يوسف الميانجي ، والفضل بن جعفر المؤذن
وأبي سليمان بن زبر وعدة .
حدث عنه : عبد العزيز الكتاني والحسن بن أحمد بن أبي الحديد ،
وأبو القاسم بن أبي العلاء والفقير نصر المقدسي .
قال الكتاني : كان شيخا ثقة نبيلاً مأموناً .
مات سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة (١) .
- ٢ - علي بن موسى بن الحسين بن السمسار أبو الحسن الدمشقي .
حدث عن : أبيه والدارقطني ، والفقير أبي زيد المروزي ، وأبي
عمر بن فضالة .
حدث عنه : عبد العزيز الكتاني ، وأبو القاسم المصيصي ، والفقير
نصر المقدسي وآخرون .
قال الكتاني : « كان فيه تشيع وتساهل » .
قال الذهبي : « الشيخ الجليل كان مسند أهل الشام في زمانه ،
ولعل تشيعه كان تقية لا سجية فإنه من بيت الحديث » .
مات سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة (٢) .

(١) الوافي بالوفيات (٤/٢٩٤) ، سير أعلام النبلاء (١٧/٥٥٠) ، العبر (٣/١٧٥) ، شذرات
الذهب (٣/٢٤٩) .

(٢) العبر (٣/١٧٩) ، سير أعلام النبلاء (١٧/٥٠٦) ، ميزان الاعتدال (٣/١٥٨) ، شذرات الذهب
(٣/٢٥٢) .

٣ - سليم بن أيوب بن سليم أبو الفتح الرازي ، الإمام شيخ الإسلام .

حدث عنه : محمد بن عبد الملك الجعفي ، ومحمد بن جعفر التميمي والحافظ أحمد بن محمد الرازي ، وحمد بن عبد الله صاحبني ابن أبي حاتم ، وأبي أحمد الفرضي ، وأبي حامد الاسفرائيني وجماعة .

حدث عنه : أبو بكر الخطيب ، وأبو محمد الكتاني ، والفقير نصر المقدسي وأبو القاسم النسيب وجماعة .

قال النسيب : « هو ثقة فقيه مقرئ محدث » .

قال ابن عساكر : « كان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقيها مشارا إليه ، صنف الكثير في الفقه وغيره ، ودرس ، وهو أول من نشر هذا العلم بصور وانتفع به جماعة ، منهم الفقيه نصر ، وحدثت عنه أنه كان يحاسب نفسه في الأنفاس لا يدع وقتا يمضي بغير فائدة ، إما ينسخ أو يدرس أو يقرأ . غرق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في بحر القلزم عند ساحل جدة ، بعد أن حج سنة سبع وأربعين وأربعمائة (١) .

٤ - محمد بن عبد الواحد بن محمد بن عمر بن ميمون أبو الفرج الدارمي البغدادي الشافعي .

سمع أبا الحسين محمد بن المظفر ، وأبا عمر بن حيويه ، وأبا

(١) تبين كذب المفترى (٢٦٢) ، تهذيب الأسماء واللغات (٢٣١/١) ، وفيات الأعيان (٣٩٧/٢) ، سير أعلام النبلاء (٦٤٥/١٧) ، العبر (٢١٣/٣) .

الحسن الدارقطني ، وأبا بكر بن شاذان وجماعة .
حدث عنه : الخطيب والكتاني والفقير نصر المقدسي ، وأبو علي
الأهوازي وغيرهم .

قال الخطيب : هو أحد الفقهاء ، موصوف بالذكاء ، وحسن الفقه
والحساب ، والكلام في دقائق المسائل ، وله شعر حسن ، كتبت عنه
بدمشق .

مات سنة ثمان وأربعين وأربعمائة (١) .

٥ - طاهر بن عبد الله بن طاهر بن عمر القاضي أبو الطيب الطبري
الشافعي فقيه بغداد .

سمع من : أبي أحمد بن الغطريف والدارقطني وموسى بن عرفة
والمعافى الجريري .

حدث عنه : الخطيب وابن بكران وأحمد بن الحسن الشيرازي ،
وأبو سعد ابن الطيوري ، والفقير نصر المقدسي وخلق كثير .

قال الخطيب : « كان شيخنا أبو الطيب ورعا عاقلا عارفا بالأصول
والفروع ، محققا حسن الخلق صحيح المذهب .

مات سنة خمسين وأربعمائة (٢) .

٦ - محمد بن بيان الكازروني أبو عبد الله المقرئ فقيه أهل آمد .

(١) تاريخ بغداد (٣٦١/٢) ، الكامل (٦٣٢/٩) ، سير أعلام النبلاء (٥٢/١٨) ، طبقات الشافعية
(١٨٢/٤) .

(٢) تاريخ بغداد (٣٥٨/٩) ، المنتظم (١٩٨/٨) ، تهذيب الأسماء واللغات (٢٤٧/٢) ، سير أعلام
النبلاء (٦٦٩/١٧) ، البداية والنهاية (٧٩/١٢) .

حدث عن : أحمد بن الحسين بن الصباح ، والقاضي أبي عمر الهاشمي ، وابن زرقويه وجماعة ، ارتحل إليه الفقيه نصر المقدسي وتفقه عليه .

حدث عنه : أبو غانم عبد الرزاق وعبد الله بن الحسن النحاس وإبراهيم بن فارس وآخرون .

قال الذهبي : « الإمام الأوحى ، شيخ الشافعية ، فقيه أهل آمد » .
مات سنة خمس وخسين وأربعمائة (١) .

٧ - محمد بن مكي بن عثمان أبو الحسين الأزدي المحدث المسند .

سمع : القاضي علي بن محمد بن إسحاق الحلبي ومحمد بن الأحميني والميمون بن حمزة الحسيني والمؤمل بن أحمد الشيباني وأبا مسلم محمد بن أحمد الكاتب وجماعة .

روى عنه : أبو بكر الخطيب وابن ماكولا والفقيه نصر المقدسي

وعلي بن إبراهيم النسيب وهبة الله بن الأكفاني وعدة .
وثقه الكتاني ، مات سنة إحدى وستين وأربعمائة (٢) .

٨ - علي بن هبة الله بن علي بن جعفر أبو نصر بن ماكولا البغدادي .

سمع : عبيد الله بن عمر بن شاهين ، وأبا بكر بن بشران ، والقاضي أبا الطيب الطبري ، وعبد الصمد بن محمد بن مكرم ، وأبا القاسم الحنائي وجماعة .

(١) سير أعلام النبلاء (١٧٢/١٨) ، طبقات الشافعية للسبكي (١٢٢/٤) ، طبقات الشافعية للأسنوي (٣٤٧/٢) .

(٢) تذكرة الحفاظ (١١٥٨/٣) ، سير أعلام النبلاء (٢٥٣/١٨) .

حدث عنه : أبو بكر الخطيب ، والفقير نصر المقدسي ، وشجاع ابن فارس الذهلي ، وأبو عبد الله الحميدي ، ومحمد بن عبد الواحد الدقاق وغيرهم (١) .

قال الديلمي : « كان الأمير أبو نصر يعرف بالوزير سعد الملك ابن ماکولا ، وكان حافظا متقنا ، ولم يكن في زمانه بعد الخطيب أحد أفضل منه ، حضر مجلسه الكبار من شيوخنا » .

قال السمعاني : كان ابن ماکولا ليبييا عالما عارفا حافظا ، يرشح للحفظ حتى كان يقال له : الخطيب الثاني ، وكان نحويا مجودا شاعرا مبرزًا جزل الشعر ، فصيح العبارة ، صحيح النقل ، ما كان في البغداديين في زمانه مثله .

قتل الحافظ ابن ماکولا وكان قد سافر نحو كرمان ومعه مماليكه من الأتراك فقتلوه وأخذوا ماله في سنة خمس وسبعين وأربعمائة (٢) .

٩ - علي بن محمد بن علي بن أحمد بن أبي العلاء ، أبو القاسم المصيصي ثم الدمشقي ، الشافعي الفرضي .

سمع : محمد بن عبد الرحمن القطان ، وعبد الرحمن بن أبي نصر وأبا نصر بن هارون ، وهبة الله اللالكائي ، وأبا علي بن شاذان وجماعة . حدث عنه أبو الخطيب ، والفقير نصر المقدسي ، وجمال الإسلام علي بن مسلم وغيرهم .

(١) النجوم الزاهر (٨٤/٥) ، شذرات الذهب (٣٠٩/٣) .

(٢) المنتظم (٥/٩) ، الكامل (١٢٨/١٠) ، سير أعلام النبلاء (٥٦٩/١٨) ، النجوم الزاهرة (١١٥/٥) .

قال ابن عساكر : « كان فقيها فرضيا من أصحاب القاضي أبي الطيب ، مات بدمشق سنة سبع وثمانين وأربعمائة » (١) .

١٠- عمر بن عبد الكريم بن سعدويه أبو الفتيان الدهستاني الرواسي .
سمع : أبا مسعود الرازي ، وأبا عثمان الصابوني ، والقاضي أبا يعلى بن الفراء ، وعبد الغافر الفارسي وأمثالهم .

حدث عنه : أبو بكر الخطيب ونصر الفقيه وأبو حامد الغزالي وإسماعيل ابن محمد التيمي وجماعة .

قال أبو جعفر بن أبي علي الحافظ : « ما رأيت في تلك الديار أحفظ منه ، بل في الدنيا كلها ، كان كتابا جوالا ، دار الدنيا لطلب الحديث ، لقيته بمكة رأيت الشيوخ يثنون عليه ويحسنون القول فيه » (٢) .

١١ - أحمد بن عبد الكريم بن أحمد أبو الحسين الطبري / الأربعين (٣٨) .

١٢ - ثابت بن بندار بن إبراهيم أبو المعالي الدينوري / المنتظم (١٤٤/٩) ، سير أعلام النبلاء (٢٠٥/١٩) .

١٣ - الحسن بن علي بن إبراهيم أبو علي الأهوازي / الأربعين (١٦) ، سير أعلام النبلاء (١٣٧/١٩) ، طبقات الشافعية للسبكي (٢٨/٤) .

١٤ - الحسن بن علي بن إبراهيم بن يزداد بن هرمز أبو علي

(١) سير أعلام النبلاء (١٢/١٩) ، طبقات الشافعية للسبكي (٢٩/٥) ، شذرات الذهب (٣٨١/٣) .

(٢) المنتظم (١٦٤/٩) ، العبر (٣/٤) ، سير أعلام النبلاء (٣١٧/١٩) ، البداية والنهاية (١٧١/١٢) .

- الأهوازي / الأربعين (٦) ، سير أعلام النبلاء (١٨ / ١٨) ، شذرات الذهب (٢٧٤ / ٣) .
- ١٥ - الحسن بن علي بن عبد الواحد بن الموحد السلمي أبو محمد الدمشقي / سير أعلام النبلاء (٥٦٨ / ١٨) ، تبصير المنتبه (١ / ١٣٩) .
- ١٦ - الحسن بن محمد بن أحمد بن جميع أبو محمد / الأربعين (١١) ، سير أعلام النبلاء (١٣٧ / ١٩) .
- ١٧ - الخضر بن عبد الله بن كامل أبو القاسم الفارقي / تحريم نكاح المتعة (٣٦) .
- ١٨ - سلامة بن إسحاق بن محمد بن داود أبو الطيب الأمدي / الأربعين (٣٧) ، سير أعلام النبلاء (١٣٧ / ١٩) .
- ١٩ - عاصم بن محمد بن أبي مسلم أبو الفتح الدينوري / تحريم نكاح المتعة (٩١) .
- ٢٠ - عبد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن عفير أبو ذر الهروي / الأربعين (١٨) ، سير أعلام النبلاء (١٣٧ / ١٩) .
- ٢١ - عبدوس بن عمر التنيسي أبو علي / سير أعلام النبلاء (١٩ / ١٤٠) .
- ٢٢ - عبد الرحمن بن عبد العزيز بن أحمد بن الطيب أبو القاسم الحلبي / سير أعلام النبلاء (٤٩٨ / ١٧ ، ١٣٦ / ١٩) ، طبقات الشافعية (٢٧ / ٤) ، شذرات الذهب (٢٤٨ / ٣ ، ٣٩٥) .
- ٢٣ - عبد الرحيم بن أحمد بن نصر بن إسحاق أبو زكريا التميمي البخاري / سير أعلام النبلاء (٢٥٨ / ١٨) ، تذكرة الحفاظ (٣ / ٣) .

- (١١٥٧) ، العبر (٢٤٨/٣) .
- ٢٤ - عبد العزيز بن أحمد بن محمد بن علي بن سليمان أبو محمد التميمي الدمشقي / تاريخ دمشق (١٧٤/٢/١٠) ، تذكرة الحفاظ (١١٧٠/٣) ، سير أعلام النبلاء (٢٤٨/١٨) .
- ٢٥ - عبد الله بن عمر أبو محمد التنيسي / الأربعين (٥٢) .
- ٢٦ - عبد الله بن عيسى بن العباس الشريف أبو طالب الحراني / تحريم نكاح المتعة (٥٦) .
- ٢٧ - عبد الوهاب بن الحسن بن برهان الغزال البغدادي / التحبير (٣٤٠/١) ، سير أعلام النبلاء (١٣٧/١٩) ، المعجم (٢٠٨) .
- ٢٨ - عبد الوهاب بن محمد بن جعفر أبو الحسن المصري / الأربعين (٢٥) ، تحريم نكاح المتعة (٢٧) .
- ٢٩ - عبيد الله بن محمد بن يوسف أبو الفرج المراغي النحوي / الأربعين (٣) .
- ٣٠ - علي بن إبراهيم بن نصرويه أبو الحسن السمرقندي / الأربعين (٤٠) .
- ٣١ - علي بن أحمد بن محمد بن الحداد أبو الحسن المقرئ / تحريم نكاح المتعة (٣٥) .
- ٣٢ - علي بن أحمد بن محمد بن داود أبو الحسن البغدادي / الأنساب (١٠٨/٦) ، العبر (١٣٢/٣) .
- ٣٣ - علي بن أحمد بن محمد بن إبراهيم أبو الحسن / الأربعين (٤٣) .

- ٣٤ - علي بن أحمد بن محمد بن علي أبو الحسن
الواحدي / تحريم نكاح المتعة (٦٠) .
- ٣٥ - علي بن محمد بن إسماعيل بن أبي زرعة أبو الحسن
الأملي / الأربعين (٧) .
- ٣٦ - علي بن طاهر بن محمد القرشي أبو الحسن
الصوفي / الأربعين (٢٠) ، تحريم نكاح المتعة (١٠) ، تاريخ
بغداد (١٤٧/١) .
- ٣٧ - علي بن عبد الله بن علي بن الحسن أبو الحسن
الأبروني / الأربعين (٢١) ، تحريم نكاح المتعة (٥) .
- ٣٨ - عمر بن أحمد بن محمد الخطيب أبو القاسم الواسطي / تاريخ
بغداد (٣٢٥/٨ ، ٣٦٣/١١) ، الأربعين (٤) ، سير أعلام
النبلاء (١٣٧/١٩) .
- ٣٩ - محمد بن إبراهيم بن علي أبو نصر الجرجاني / الأربعين
(٣٥) .
- ٤٠ - محمد بن بكر أبو الحسين البغدادي / تاريخ بغداد (٤٣/١) .
- ٤١ - محمد بن جعفر أبو الفتح الميماسي / سير أعلام النبلاء
(١٣٧/١٩) ، العبر (٣٢٩/٣) ، المعجم (٢٠٨) .
- ٤٢ - محمد بن الحسن البشنوي أبو بكر الصوفي / الأربعين (٥) .
- ٤٣ - محمد بن عبد السلام بن عبد الرحمن الجذامي ، أبو عبد الله
الدمشقي / سير أعلام النبلاء (٦٣٥/١٧) ، شذرات الذهب
(٢٧٠/٣) .

٤٤ - محمد بن علي بن حسن بن محمد بن أبي عثمان عمرو بن محمد أبو الغنائم البغدادي / سير أعلام النبلاء (١٨ / ٥٩٠) ، الوافي بالوفيات (١٤١ / ٤) .

٤٥ - محمد بن علي بن محمد بن طلحة أبو مسلم الأصبهاني / تحريم نكاح المتعة (٢٨) .

٤٦ - محمد بن علي بن ميمون بن محمد أبو الغنائم النرسي الكوفي ، معجم البلدان (٥ / ٢٨٠) ، سير أعلام النبلاء (١٩ / ٢٧٤) تذكرة الحفاظ (٤ / ١٢٦٠) .

٤٧ - محمد بن علي بن يحيى بن سلوان أبو عبد الله المازني / تاريخ دمشق (١٧ / ٢ / ٢٦٩) ، سير أعلام النبلاء (١٧ / ٤٦٧ ، ١٣٧ / ١٩) ، شذرات الذهب (٣ / ٢٧٧) .

٤٨ - محمد بن محمد بن الفراء أبو العزائم المقرئ / تحريم نكاح المتعة (٧٨) ، سير أعلام النبلاء (١٩ / ١٣٧) .

٤٩ - نصر بن مسرور أبو الفتح الرهاوي / تحريم نكاح المتعة (١٦) .

٥٠ - هبة الله بن سليمان أبو القاسم الدمشقي / سير أعلام النبلاء (١٩ / ١٣٧) .

تلاميذه :

اشتهر المؤلف رحمته الله بالعلم والتقوى والحفظ والإتقان والزهد والورع ، وبمجالسه العلمية ، وطريقته المثلى في التدريس ، وشهرة عالم في مكان ما واتصافه بهذه الأوصاف الجميلة والأخلاق النبيلة ،

تكفي لأن تجتذب إليه القلوب وتتجه إليه الأنظار ، وتسعى إليه طلاب العلم ، لينهلوا من منهله ، وليتلقوا من علومه ، فقد كثر من سمع منه وتلقى عنه من الأئمة والفقهاء ، وسار ذكرهم بين العلماء ، وقد تصفحت كتب التراجم ومصادر التاريخ ، فعثرت على ما يزيد عن خمسين تلميذا له ، وإن كانوا أكثر من ذلك ، لتصديه للعلم فترة طويلة من عمره ما تقارب نصف قرن ، ولتوليه مهام التدريس في المسجد الأقصى بيت المقدس ، ثم في الجامع الأموي بدمشق .
وأكتفي - هنا - بترجمة موجزة لبعض المشهورين منهم ، ثم أسرد أسماء الباقيين مع الإحالة إلى المصادر .

١ - أحمد بن علي بن ثابت أبو بكر المعروف بالخطيب البغدادي ، أحد الأئمة الأعلام وصاحب التواليف المنتشرة في الإسلام .
سمع من : أبي عمر بن مهدي ، وابن الصلت الأهوازي ، والقاضي أبي الطيب الطبري ، وأبي عبد الله القضاعي ، وأبي الفتح نصر المقدسي ، والبرقاني وخلق كثير .
حدث عنه : البرقاني شيخه ، وأبو الفضل بن خيرون ، وأبو عبد الله الحميدي ، وعبد العزيز الكتاني ، وأبو نصر بن ماكولا ، وعبد الله بن أحمد السمرقندي ، ونصر المقدسي شيخه وخلق .
صنف في الفقه وبرع فيه ، ثم غلب عليه الحديث ، وكان فصيحاً جهوري الصوت ، حسن القراءة ، مليح الخط .

قال ابن ماكولا : « كان أبو بكر الخطيب آخر الأعيان ممن شاهدناه

معرفة وحفظاً ، وإتقاناً وضبطاً لحديث رسول الله ﷺ ، وتفنناً في
 علله وأسانيده ، وعلماً لصحيحه وغريبه ، وفردته ومنكره .
 ثم قال : « لم يكن للبغداديين بعد الدارقطني مثله » .
 مات سنة ثلاث وستين وأربعمائة (١) .

٢ - مكي بن عبد السلام بن الحسين أبو القاسم الرميلى المقدسي .
 سمع : محمد بن يحيى بن سلوان ، وأبا عثمان بن ورقاء ، وأبا
 القاسم الحنائي ، وعبد الباقي بن فارس ، وأبا بكر الخطيب ، ونصر
 المقدسي وخلقاً كثيراً .

روى عنه : عمر الرواس ومحمد بن علي المهرجاني ، وعمار بن
 طاهر ، وأبو الحسن بن مسلم السلمي وحمزة بن كروس وغالب بن
 أحمد وجماعة .

قال الذهبي : « كان مفتياً على مذهب الشافعي ، وكان عالماً ثبتاً ،
 ابتلي بالأسر وقت أخذ العدو بيت المقدس ، وطلبوا في فدائه ذهباً
 كثيراً فلم يقد ، فقتلوه سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة (٢) .

٣ - زين الدين أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الطوسي
 الشافعي الغزالي . تفقه ببلده أولاً ثم تحول إلى نيسابور في مرافقة جماعة
 من الطلبة ، فلزم إمام الحرمين ، فبرع في الفقه ومهر في الكلام والجدل .

(١) العبر (٣١٤/٢ - ٣١٥) ، تذكرة الحفاظ (٢١٢/٣) ، البداية والنهاية (١٠١/١٢) ، الكامل

(١١٠/٨) ، شذرات الذهب (٣١١/٣) .

(٢) سير أعلام النبلاء (١٧٨/١٩) ، تذكرة الحفاظ (١٢٢٩/٤) ، شذرات الذهب (٣٣٤/٣) .

قال الذهبي : « ولاء النظام تدريس نظامية بغداد ، وأخذ في تأليف الأصول والفقه والكلام والحكمة ، وأدخله سيلان ذهنه في مضائق الكلام ومزال الأقدام ، ولله سر في خلقه » .

وعظم جاه الرجل وازدادت حشمته بحيث أنه في دست أمير وفي رتبة رئيس كبير ، وقال : وزار بيت المقدس وصحب الفقيه نصر بن إبراهيم المقدسي بدمشق وأقام مدة وألف كتاب الإحياء وغيره . مات سنة خمس وخمسمائة (١) .

٤ - علي بن إبراهيم بن العباس بن الحسن العلوي الحسيني الدمشقي أبو القاسم الشريف النسيب خطيب دمشق وشيخها . سمع من : أبي الحسين محمد بن عبد الرحمن التميمي ، ومحمد ابن يحيى ابن سلوان المازني ، وسليم بن أيوب ومحمد بن سلامة والخطيب ونصر المقدسي .

حدث عنه : هبة الله بن الأكفاني ، والخضر بن شبل ، وأبو المعالي ابن جابر ، وأبو القاسم بن عساكر .

قال الذهبي : « كان صدرا معظما وسيدا محتشما ، وثقة محدثا ، ونبیلا ممدحا ، من أهل السنة والجماعة ، والأثر والرواية ، كل أحد يثني عليه » .

مات سنة ثمان وخمسمائة (٢) .

(١) المنتظم (١٦٨/٩) ، الكامل (٤٩١/١٠) ، سير أعلام النبلاء (٣٢٠/١٩) ، العبر (١٠/٤) ، شذرات الذهب (١٠/٤) .

(٢) العبر (١٧/٤) ، سير أعلام النبلاء (٣٥٨/١٩) ، النجوم الزاهرة (٢٠٨/٥) .

٥ - غيث بن علي بن عبد السلام أبو الفرج الأرمنازي ثم الصوري .
سمع : أبا بكر الخطيب ، نصر الفقيه ، وعلي بن عبيد الله ، وأبا
نصر ابن طلاب وطائفة .

روى عنه : شيخه الخطيب وأبو القاسم بن عساكر .
قال الذهبي : « كتب الكثير وسود تاريخا لصور وكان ثقة » .
مات سنة تسع وخمسمائة (١) .

٦ - عبد الرحمن بن أحمد بن علي بن صابر السلمى ، أبو محمد
الدمشقي المعروف بابن سيده .

سمع : أبا القاسم بن أبي العلاء المصيبي ، وأبا عبد الله بن أبي
الحديد ، والفقيه نصر المقدسي .

وعنه : السلفي وابن عساكر وابنه أبو المعالي عبد الله بن صابر .
قال ابن عساكر : « سمعنا بقراءته الكثير ، وكان ثقة متحرزا » .
مات سنة إحدى عشرة وخمسمائة (٢) .

٧ - الحسين بن محمد أبو علي القاضي الأندلسي .

روى عن : أبي الوليد الباجي ، ومحمد بن سعدون ، وعبد الملك بن
شعبة وجعفر بن محمد ، ومحمد بن عبد السلام والفقيه نصر المقدسي .

روى عنه : ابن صابر والقاضي محمد بن يحيى والقاضي عياض .
قال الذهبي : « أخذ بدمشق عن الفقيه نصر ورجع بعلم جم ، وبرع

(١) الأنساب (١٨٩/١) ، سير أعلام النبلاء (٣٨٩/١٩) ، العبر (١٨/٤) .

(٢) سير أعلام النبلاء (٤٢٤/١٩) ، تاريخ الإسلام (٢٠١/٤) .

في الحديث متنا وإسنادا ، مع الضبط وحسن التأليف ، والفقهاء والأدب مع الدين والخير والتواضع « .
 مات سنة أربع عشرة وخمسمائة (١) .

٨ - علي بن مسلم بن محمد بن محمد بن علي بن الفتح جمال الإسلام أبو الحسن السلمي .

سمع : أبا نصر بن طلاب ، وعبد العزيز بن أحمد الكتاني ، وأبا الحسن بن أبي الحديد ، وغنائم بن أحمد ، والفقهاء نصر المقدسي .
 حدث عنه : السلفي وابن عساكر وابنه القاسم ومكي بن علي ويحيى بن الخضر .

تفقه على القاضي أبي المظفر المروزي ، وكان معيدا للفقهاء نصر .
 قال ابن عساكر : « سمعنا منه الكثير وكان ثقة عالما بالمذهب والفرائض » .

وقال : عني بكثرة المطالعة والتكرار ، فلما قدم الفقيه نصر المقدسي لازمه ، ولازم الغزالي مدة مقامه بدمشق ، وهو الذي أمره بالتصدر بعد شيخه نصر ، وكان يثني على علمه وفهمه ، وكان عالما بالتفسير والأصول والفقهاء والتذكير « .

مات سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة (٢) .

(١) الصلة (١/١٤٤) ، بغية الملتبس (٢٦٩) ، سير أعلام النبلاء (٣٧٨/١٩) ، تذكرة الحفاظ (١٢٥٣/٢) ، شذرات الذهب (٤٣/٤) .

(٢) تبين كذب المفتري (٣٢٦) ، طبقات الشافعية للسبكي (٢٣٥/٧) ، سير أعلام النبلاء (٣٢/٢٠) ، الوافي بالوفيات (٢٠٣/٢) .

٩ - محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن العربي أبو بكر القاضي الأندلسي . ارتحل مع أبيه ، وسمعا ببغداد ، من طراد بن محمد وأبي الخطاب ابن البطر وجعفر السراج وابن الطيوري ، وبدمشق من الفقيه نصر المقدسي ، وبيت المقدس من مكّي بن عبد السلام الرميلي وغيره .

حدث عنه : عبد الخالق بن أحمد اليوسفي ، وأحمد بن خلف الإشبيلي ، والحسن بن علي القرطبي ، والحافظ أبو القاسم السهيلي . قال الذهبي : « صنف كتاب عارضة الأحوزي ، وفسر القرآن المجيد فأتى بكل بديع » .

وكان ثاقب الذهن ، عذب المنطق ، كريم الشمائل ، كامل السؤدد . مات سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة (١) .

١٠ - نصر الله بن محمد بن عبد القوي أبو الفتح المصيبي الدمشقي .

نشأ بصور وسمع بها من أبي بكر الخطيب ، وعمر بن أحمد العطار والفقيه نصر المقدسي ، وتفقه عليه ، وسمع بدمشق أبا القاسم بن أبي العلاء ، وببغداد عاصم بن الحسن ، ورزق الله بن عبد الوهاب وغيره . روى عنه : أبو القاسم الدولعي ، والخضر بن كامل المقرئ ، وأبو القاسم عبد الصمد ، وهبة الله بن الخضر وجماعة .

(١) الصلة (٢/٥٩٠) ، بغية الملتبس (١٧٩) ، نفح الطيب (٢/٢٥) ، سير أعلام النبلاء

(٢٠٣/٢٠) ، تذكرة الحفاظ (٤/١٢٩٤) .

قال الذهبي : « هو الإمام فقهاً وأصولاً وكلاماً » .
قرأ بصور علم الكلام على أبي بكر محمد بن عتيق القيرواني ، ثم
سكن دمشق ودرس بالزاوية الغربية - وهي الغزالية - بعد وفاة شيخه
نصر .

مات سنة ست وخمسين وخمسمائة (١) .

١١ - إبراهيم بن عيسى المقدسي / من السماعات الموجودة في
تحريم نكاح المتعة (١٣) .

١٢ - أحمد بن ياسين أبو البركات / السماعات (١٤) .

١٣ - إسماعيل بن محمد الزارع / السماعات (١٤) .

١٤ - حسان بن إبراهيم الدمشقي / المعجم المفهرس (٣ / ١٢٨) .

١٥ - حسان بن تميم بن نصر الزيات أبو الندى الدمشقي / سير

أعلام النبلاء (٢٠ / ٣٩٧) ، العبر (٤ / ١٧٠) ، شذرات الذهب
(٤ / ١٨٨) .

١٦ - حسن بن إبراهيم بن مسلمة / السماعات (١٤) .

١٧ - حسن بن مجلى أبو علي الفلاح / السماعات (١٤) .

١٨ - حسين بن جميل النابلسي / السماعات (١٤) .

١٩ - حسين بن الحسن بن محمد الأسدي ابن البن أبو القاسم

الدمشقي / سير أعلام النبلاء (٢٠ / ٢٤٦) ، النجوم الزاهرة (٥ /

٣٢٤) ، شذرات الذهب (٤ / ١٥٨) .

(١) المنتظم (١٠ / ١٢٩) ، تذكرة الحفاظ (٤ / ١٢٩٤) ، سير أعلام النبلاء (٢٠ / ١١٨) ، العبر

(٤ / ١١٦) ، طبقات الشافعية للسبكي (٥ / ٣١٩) .

- ٢٠ - حمزة بن أحمد بن فارس بن كروس أبو يعلى السلمي / سير أعلام النبلاء (٣٩٢ / ٢٠) ، العبر (١٦٢ / ٤) ، شذرات الذهب (١٧٨ / ٤) .
- ٢١ - حمزة بن علي بن هبة الله بن حسن بن علي أبو يعلى ابن الجبوبي / مشيخة ابن عساكر (٥٨ / أ) ، تهذيب تاريخ دمشق (٤ / ٤٤٩) ، سير أعلام النبلاء (٣٥٧ / ٢٠) .
- ٢٢ - الخضر بن حسين بن عبد الله بن الحسين بن عبيد الله بن عبدان أبو القاسم الأزدي / تهذيب تاريخ دمشق (١٦٤ / ٥) ، سير أعلام النبلاء (٢٢٢ / ٢٠) .
- ٢٣ - سلطان بن إبراهيم بن مسلم المقدسي / الإنس الجليل (١ / ٣٠٠) .
- ٢٤ - سلامة بن إسماعيل بن جماعة أبو عبد الله / الإنس الجليل (٢٩٧ / ١) .
- ٢٥ - سلامة بن محمد بن سلامة القطان المقدسي / السماعات (١٤) .
- ٢٦ - صافي بن عبد الله أبو الحسن الدمشقي / التحبير (٣٤٠ / ١) .
- ٢٧ - عبدان بن زرين بن محمد الدويني أبو محمد المقرئ / تبصير المتنبه (٦٠٢ / ٢) ، سير أعلام النبلاء (٢٥٦ / ٢٠) .
- ٢٨ - عبد الرحمن بن عبد الرحمن الأصبهاني / السماعات (١٤) .
- ٢٩ - عبد الرحمن بن عبد الواحد بن عبد الكريم بن علي أبو القاسم الدمشقي / التحبير (٣٤٠ / ١) .

- ٣٠ - عبد الرحيم بن عبد الرحمن الأصبهاني / السماعات (١٣) .
- ٣١ - عبد القاهر بن إبراهيم النجار / السماعات (١٤) .
- ٣٢ - عبد الله بن علي بن جبر بن علي أبو محمد الأرسوفي /
السماعات (١٣) .
- ٣٣ - عبد الله بن أبي علي الشاشي / السماعات (١٤) .
- ٣٤ - عبد الواحد بن محمد بن المسلم بن الحسن بن هلال أبو
الكلام / سير أعلام النبلاء (٤٩٩/٢٠) ، العبر (١٩١/٤) ،
شذرات الذهب (٢٥١/٤) .
- ٣٥ - عثمان بن أحمد المستغفري / السماعات (١٤) .
- ٣٦ - علي بن أحمد الأنصاري أبو الحسن / السماعات (١٣) .
- ٣٧ - علي بن أحمد بن عبد الله الربيعي أبو الحسن المقدسي /
الإنس الجليل (٣٠٢/١) .
- ٣٨ - علي بن أحمد بن مقاتل بن أحمد الدمشقي / سير أعلام
النبلاء (٢٤٩/٢٠ ، ١٣٨/١٩) .
- ٣٩ - علي بن حيدرة بن جعفر أبو طالب الحسيني الدمشقي / سير
أعلام النبلاء (٢٥٠/٢٠) .
- ٤٠ - علي بن خلف بن ذي النون العبسي أبو الحسن المقرئ /
فهرسة ابن خير (١٥٩) .
- ٤١ - علي بن عبد الله بن إبراهيم السنباطي / السماعات (١٣) .
- ٤٢ - علي بن محمد التميمي / السماعات (١٤) .
- ٤٣ - عيسى بن محمد البنديجي / السماعات (١٤) .

- ٤٤ - محمد بن أحمد بن الصواف / السماعات (١٤) .
- ٤٥ - محمد بن أحمد بن يحيى العثماني أبو عبد الله المقدسي أبو العشائر / تبين كذب المفتري (٣٢١) ، سير أعلام النبلاء (٢٠ / ٤٤) .
- ٤٦ - محمد بن طاهر بن أحمد بن علي الشيباني / ذيل تاريخ بغداد (٣١ / ١٨) .
- ٤٧ - محمد بن طاهر بن علي بن أحمد بن أبي الحسين أبو الفضل المقدسي / المنتظم (١٧٧ / ٩) ، ميزان الاعتدال (٥٨٧ / ٣) ، سير أعلام النبلاء (٣٦٥ / ١٩) .
- ٤٨ - محمد بن علي المعلم / السماعات (١٣) .
- ٤٩ - محمد بن يحيى بن علي بن عبد العزيز أبو المعالي القرشي / سير أعلام النبلاء (١٣٨ / ٢٠) ، العبر (١٠٣ / ٤) ، شذرات الذهب (١١٦ / ٤) .
- ٥٠ - معالي بن الجبوبي أبو المجد / سير أعلام النبلاء (١٩ / ١٣٨) .
- ٥١ - نعمة الله بن حسن الكسائي / السماعات (١٤) .
- ٥٢ - هبة الله بن أحمد بن علي بن عبد الله بن طاؤس أبو محمد الدمشقي / طبقات الشافعية للسبكي (٣٢٠ / ٤) .
- ٥٣ - يحيى بن عزار التميمي / السماعات (١٤) .
- ٥٤ - يحيى بن علي بن عبد العزيز بن علي بن الحسين أبو المفضل / الكامل (٧٧ / ١١) ، سير أعلام النبلاء (٦٤ / ٢٠) .

- ٥٥ - يحيى بن مفرج بن محيا / السماعيات (١٤) .
- ٥٦ - علي بن عساكر بن سرور أبو الحسن المقدسي الخشاب /
 مشيخة ابن عساكر (١٤٧ / أ) ، سير أعلام النبلاء (٢٥٥ / ٢٠) ،
 العبر (١٥٢ / ٤) ، النجوم الزاهرة (٣٢٩ / ٥) .
- ٥٧ - محمد بن الخليل بن فارس القيسي أبو العشائر الدمشقي /
 العبر (١٣٧ / ٤) ، سير أعلام النبلاء (٢٩٤ / ٢٠) ، شذرات الذهب
 (١٥٤ / ٤) .



المبحث الثاني

عقيدته ، ثناء العلماء عليه ، ما أخذ عليه

عقيدته :

إن المؤلف نصر المقدسي رحمته الله كان سلفيا في عقيدته ، أثريا في منهجه ، شافعيًا في مذهبه ، وتظهر سلفيته بوضوح وجلاء من كتابه هذا - الحجة على تارك المحجة - فقد أوضح فيه المنهج السلفي ، الذي رسم معالمه سلفنا الصالح ، وأظهر عقيدتهم في عصر شاعت فيه البدع والمنكرات ، وانتشرت الزندقة والإلحاد في كثير من البلاد الإسلامية ، وتفرق المسلمون شيعة وأحزابا ، وابتعدوا كثيرا عن النهج القويم الذي كان عليه سلف هذه الأمة .

وكان سبب ذلك هو ما خلفته كتب الفلاسفة والمتكلمين ، القائمة على أسس الجدليات والمتناقضات ومسائل الخلافات ، من الزعزعة العقيدية والبلبلية الفكرية في المجتمع الإسلامي ، مما دعا المؤلف رحمته الله إلى تأليف كتابه هذا .

فيقول في مقدمته . . . : « فلما ذهبت العلماء من الحكماء ، ركب كل واحد هواه ، فابتدع ما أحب وارتضاه ، وناظر أهل الحق عليه ، ودعاهم بجهله إليه ، وزخرف لهم القول بالباطل وزين لهم ، حتى صار ذلك عندهم ديناً . . . » إلى أن قال : « فلما رأيت ذلك قد كثر ، وزاد الأمر فيه واشتهر ، حتى قلّ من يتكلم بعلم أو يدين بفهم ، إلا بقايا لا يرجع الجهال إليهم ، ولا يعولون في أمورهم

عليهم ، لما أوغره رؤساؤهم الجهال في صدورهم ، وقرروه في نفوسهم ، رغبة في اجتماع العوام عليهم ورجوعهم إليهم ، لئلا يشف عنهم ما ألقوه من برهم ورفقهم ، واعتادوه من تعظيمهم وعزهم ، فهلكوا في نفوسهم ، وأهلكوا أتباعهم ، وتركوا ما وجب عليهم واتبعوا أهواءهم ، سألت الله العظيم التوفيق في جمع هذا الكتاب وسميته : الحجة على تارك المحجة .

وكان ﷺ على طريقة أهل الحديث والأثر الذي يقدمون النصوص الشرعية على الأدلة العقلية ، ويرون الرجوع في جميع أمورهم من اعتقادات وعبادات ومعاملات إلى المنهل الصافي العظيم ، إلى كتاب الله وسنة رسوله الكريم ، فيقفون عند حدودهما ، لأنهما مصدران أساسيان للعقيدة السلفية .

وأكد المؤلف ﷺ على أن هذا هو المنهج الذي يجب لكل مسلم اتباعه ، وطرح ما دونه ، فالخير كله في الاتباع والشر كله في الابتداع . وكتابه - هذا - يعبر عن هذا الاتجاه ، ويحقق هذه الغاية ، ويدل على شدة تعلقه بالاتباع ، لما كان عليه الرسول ﷺ وسلف هذه الأمة .

وإن السلف في نظره ﷺ خير الفرق قيلا ، وأهداهم سبيلا ، وأعمقهم علما ، وأقلهم تكلفا ، وأكثرهم اتباعا وتمسكا بسنة رسول الله ﷺ وهم أفضل الناس بعد الأنبياء والرسل إطلاقا ، فإذا كانت أمة محمد خير أمة أخرجت للناس كما نطق بذلك كتاب الله العزيز ، فالسلف هم خير هذه الأمة كما قال ﷺ : « خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » الحديث .

ولهذا كانت معرفة أقوالهم وأعمالهم أنفع من معرفة أقوال غيرهم ،
والاقتداء بهم خيرا من الاقتداء بغيرهم ممن بعدهم .

فيقول ﷺ : « فواجب على كل مسلم احتياط لدينه ، وأراد
المحافظة على إتمامه وتعيينه (؟) ، وأحب أن يكون متبعا لمثله
وشريعته ، أن يقتفي آثارهم ، وما أجمع عليه أصحابه ، لا يخالف
ذلك إلى سواه ، فقد أخبر أن التكلف فيما عداه ، وقد كان الناس
على ذلك زمانا بعده إذ كان فيهم العلماء وأهل المعرفة بالله من
الفقهاء ، من أراد غير الحق منعه ، ومن ابتدع بدعة زجره ، وإن
زاغ عن الواجب قوموه ، وبينوا له رشده وفهموه ، فلما ذهبت العلماء
من الحكماء ، ركب كل واحد هواه ، فابتدع ما أحب وارتضاه » .
إلى أن قال . . . : « وقصدت به بيان ما يجب اتباعه على
المسلمين ، وما يلزم أهل التقية والدين ، من الرجوع إلى كتاب
الله وسنة رسوله ﷺ وإجماع الصحابة والتابعين لهم بإحسان ،
والأئمة من العلماء المتقدمين ، ومن عرف بالورع والدين ، وما
يجب تجنبه وإطراحه من البدع المحدثه والأهواء المضلة ، وترك
الجدل والخصومة في الدين والكلام وغير ذلك ، مما حذرنا من
مواقعته ، وأمرنا بمجانبته ومخالفته ، ورسمته أبوابا ، لينتفع به
المبتدئ ، وليتذكر به المنتهي ، معتمدا فيه على الروايات والأسانيد ،
طالبا من الله تعالى به المنفعة فيما لديه والقربة إليه » .

وخير دليل على ما قلنا هو ما ذكره المؤلف ﷺ في كتابه هذا حيث
قال : « فإن قال قائل ذكرت ما يجب على أهل الإسلام من اتباع كتاب

الله عز وجل سنة رسول ﷺ ، وما أجمع عليه الأئمة والعلماء ممن عرف بالعلم والدين والصدق واليقين ، وذكرت المنع من البدع وذم الكلام والأهواء الخارجة عن الحق والصواب ، ووجوب ترك ذلك ، والأخذ بما عليه أهل السنة والجماعة فاذا ذكر مذهبهم ، وما أجمعوا عليه من اعتقادهم ، وما يلزمنا المصير إليه من إجماعهم ، لنعلم ذلك ونصير إليه ونعتقده ونعتمد عليه .

فالجواب وبالله التوفيق :

إن الذي أدركت عليه أهل العلم ، ومن لقيتهم وأخذت عنهم ، ومن بلغني قوله من غيرهم ، ممن يعول عليه ، ويرجع في النوازل إليه ، ممن ينطق عن علم صائب وفهم ثاقب ، وأمانة قوية وديانة أصلية ، مشهور في وقته بالإمامة ، موصوف بالقُدوة والزعامة ، ناطق عن الكتاب والسنة وإجماع علماء الأمة ، بجانب للبدعة والضلالة والأهواء والجهالة ، أنه لا يجوز اعتقاد ما لم يكن له أصل في كتاب الله تعالى ولا سنة رسوله ﷺ ، وإجماع أهل العلم من الصحابة والتابعين لهم بإحسان عليهم من الله الرحمن ، الرحمة والرضوان ، ولا يحل الكلام فيه ، وأنه بدعة وضلالة ومعصية وجهالة .

ثم ذكر مذهبه في أسماء الله تعالى وصفاته فقال : « إن الله تعالى واحد أحد فرد صمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد ، وأنه خلق العالم ، وبعث الأنبياء والرسل ، وأنزل عليهم الكتب ، وشرح لخلقه الشرائع ، وأمرهم ونهاهم ، وأنه يميئتهم أجمعين ثم يحييهم ليوم الدين ، فيحاسبهم بما أسلفوا ، ويقابلهم بما قدموا

وأخروا ، ما نطقت به كتبه فهو الحق ، وما أخبرت به رسله فهو الصدق ، وأنه لا يجوز لأحد مخالفة أمره تعالى وجل ، ولا تجاوزه يصفه بما وصف به نفسه في كتابه ، وعلى لسان نبيه ﷺ ، لا يجاوز ذلك ولا يزيد عليه ، ولا نقيس بعقولنا غيره عليه بل نسلم لذلك إليه ونتوكل في توفيقنا عليه .

وقال في القرآن : « أن القرآن كلام الله عز وجل ووحيه وتنزيله غير مخلوق ، كيف تلي وكيف قرئ وكتب » .

كما أثبت صفة العلو لله سبحانه واستواؤه على عرشه بقوله : « وأن الله تعالى مستوٍ على عرشه ، بائن من خلقه كما قال في كتابه العزيز الحكيم ، أحاط بكل شيء علما وأحصى كل شيء عددا ، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير » .

وفي رؤية الله تعالى يوم القيامة قال : « وأن الله تعالى يُرى في الآخرة يراه المؤمنون بأبصارهم والكفار عن رؤيته محجوبون » .
وبهذا عرفنا أن مذهبه ﷺ في أسماء الله تعالى وصفاته هو إثبات بلا تمثيل وتنزيه بلا تعطيل ، كما جاءت في كتاب الله وسنة رسوله فلا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله .

وأما موقفه في جوانب العقيدة الأخرى ، فقد أثبتها كما جاءت في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ فقال في الجنة والنار : « وأن الجنة حق وأن النار حق وأنهما مخلوقتان لا يفنيان أبدا » .

وكذلك أثبت عذاب القبر ومنكرا ونكيرا والكرام الكاتبين والميزان والصراط وشفاعة الرسول ﷺ بإخراج قوم من النار .

وأما في القدر فقال : « وأن القدر خيره وشره وحلوه ومره من الله عز وجل ، قدر جميع أعمال العباد وقضاها ، قبل أن يخلق أعمالهم فهم يعملون ما قدر لهم عمله ، وقضاه وكتبه وأمضاه ، ولا يجاوز ذلك تقديره ، ولا يفارق ترتيبه ، ولا يخرج من علمه ولا يزول عن حكمه » .
وقال في الإيمان : « وأن الإيمان قول وعقد وعمل ، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية » .

وقال في الصحابة : « وأن خير هذه الأمة بعد نبيها ﷺ أبو بكر الصديق ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان ثم علي بن أبي طالب رضوان الله عليهم أجمعين ، وأنهم هم الخلفاء الراشدون المهديون الذين أمر رسول الله ﷺ باتباعهم ونهى عن خلافهم .
وأن العشرة الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالجنة على ما شهد به ، وكذلك من سواهم ممن أخبر عنه بذلك ، أو وعده على عمل عمله أو فعل فعله الجنة .

والترحم على جميع أصحاب رسول الله ﷺ ، ونشر فضائلهم وترك الخوض والنظر فيما شجر بينهم » .

ويرى ﷺ وجوب السمع والطاعة للأمرء والولاية وعدم الخروج عليهم ، وأداء الجمعة والجماعات ورائهم ، ودفع الزكاة إليهم ، والحج والجهاد معهم .

وبهذا العرض الشامل يتضح أن المؤلف ﷺ سلك مسلك السلف من الصحابة التابعين ومن بعدهم ، في الابتعاد عن الجدل والمراء ، وطريقة الفلاسفة والمتكلمين ، وإنما تكلم في جميع المسائل

الاعتقادية بما تكلم به سلف هذه الأمة .

ثناء العلماء عليه :

إن انتشار الذكر الجميل ، وذيوع الثناء الحسن ، وانطلاقه على ألسنة المعاصرين ، ومن جاء بعدهم من العلماء المشهورين ، ليؤكد عدالة شخص ما ورسوخ قدمه في العلم والفضل ، كما يدل على مكانته المرموقة في نفوس الناس .

وقد كان للمؤلف نصر رحمته الله حظ كبير ونصيب وافر في هذا الجانب ، ولذا نجد من مشايخه وأقرانه ومن جاء بعدهم أثنوا عليه ثناء جميلا ، مما يدل على مكانته العظيمة ومنزلته الرفيعة ، عند الذين عاصروه أو صحبوه أوجاءوا بعدهم .

قال الحافظ ابن عساكر : « كان رحمته الله فقيها فاضلا وزاهدا عاملا ، أقام بدمشق ولم يقبل من أحد من أهلها صلة » .

« وكان رحمته الله على طريقة واحدة من الزهد في الدنيا ، والتنزه عن الدنيا ، والجري على منهاج السلف ، من التقشف ، وتجنب السلطان ، ورفض الطمع ، والاجتزاء باليسير ، مما يصل إليه من غلة أرض له بنابلس يأتيه منها ما يقتاته ، ولا يقبل من أحد شيئا » (١) .

قال : « وسمعت بعض من صحبه يقول : لو كان الفقيه نصر في أيام السلف لم تقصر درجته عن واحد منهم لكنهم فاقوه بالسبق » (٢) .

(١) تاريخ دمشق (٢٦٩/٢/١٧) .

(٢) تبين كذب المفترى (٢٨٦) .

قال : « وكانت أوقاته كلها مستغرقة في عمل الخير ، إما في نشر العلم ، وإما في إصلاح عمل ، ثم ذكر عن بعض أهل العلم أنه قال : صحبت إمام الحرمين أبا المعالي الجويني بخراسان ، ثم قدمت العراق فصحبت الشيخ أبا إسحاق الشيرازي ، فكانت طريقته عندي أفضل من طريقة أبي المعالي . ثم قدمت الشام فرأيت الفقيه أبا الفتح فكانت طريقته أحسن من طريقتهما جميعا » (١) .

ووصفه أبو علي البكري بقوله : « . . . كان إماما ورعا قانعا لازما سيرة السلف . . . تخرج به جماعة من أهل الشام وانتفعوا بسيرته وصالح دعوته » (٢) .

قال ابن الأبار : « . . . يحدث ويدرس إلى أن مات عاكفا على العلم والعمل ، متصفا بالزهد والنزاهة ، لم يقبل من أحد صلة ، ولا نعم بلين عيشه » (٣) .

وذكره النووي فوصفه : « بالإمام الزاهد المجمع على جلالته وفضيلته » (٤) .

وقال الذهبي : « الشيخ الإمام العلامة القدوة المحدث ، مفيد الشام شيخ الإسلام ، أبو الفتح نصر بن إبراهيم النابلسي المقدسي ، الفقيه

(١) تاريخ دمشق (١٧/٢/٢٦٩) ، تبين كذب المفترى (٢٨٧) .

(٢) كتاب الأربعين (٦٧) .

(٣) المعجم (٢٠٨) .

(٤) تهذيب الأسماء واللغات (٢/١٢٥) .

الشافعي صاحب التصانيف والأماي « (١) .
 وذكره في العبر فقال : « الفقيه نصر بن إبراهيم بن نصر المقدسي ،
 أبو الفتح الزاهد ، شيخ الشافعية بالشام وصاحب التصانيف ، كان
 إماما علامة مفتيا محدثا حافظا زاهدا متبتلا ورعا ، وكبير القدر عديم
 النظر » (٢) .

وذكره في العلو فوصفه : « بسيد أهل الشام في وقته علما وعملا » (٣) .
 وقال الياضي : « الإمام العالي المقام الصالح المشهور مفتي الأنام ،
 الفقيه الزاهد ، الورع العابد ، ذو المناقب العديدة والسيرة الحميدة ، أبو
 الفتح شيخ الشافعية بالشام ، نصر بن إبراهيم المقدسي صاحب
 التصانيف الكثيرة » (٤) .

ووصفه السبكي فقال : « الفقيه أبو الفتح الزاهد ، الجامع بين العلم
 والدين » (٥) .

وقال الأسنوي : « نصر بن إبراهيم المقدسي ، شيخ المذهب بالشام
 وصاحب التصانيف المشهورة ، والعمل الكثير والزهد الصادق » (٦) .
 وقال بحير الدين الحنبلي : « الشيخ العلامة المحدث أبو الفتح

(١) سير أعلام النبلاء (١٩/١٣٦) .

(٢) العبر (٢/٣٦٣) .

(٣) العلو للعلي الغفار (١٨٧) .

(٤) مرآة الجنان (٣/١٥٢) .

(٥) طبقات الشافعية (٤/٢٧) .

(٦) طبقات الشافعية (٢/٣٨٩) .

شيخ المذهب بالشام ، صاحب التصانيف مع الزهد والعبادة « (١) .
فهذه نبذة من أقوال بعض العلماء الذين اعترفوا بعلمه وفضله
وعبادته وتدينه وورعه وزهده ، وهي كافية للدلالة على منزلته الرفيعة
في نظر معاصريه من العلماء ومن جاء بعدهم . وهكذا كان شأن
علمائنا من السلف الصالح رحمهم الله أجمعين .
ما أخذ عليه :

اتفقت آراء أهل العلم وتضافرت أقوالهم على توثيق نصر وتعديله ،
والاعتراف بغزارة علمه ، وسعة معرفته ، وتنوع ثقافته ، كما سبق أن
ذكرت ذلك .

أما كلمات الجرح ، فقد قمت بتصفح بطون الكتب حتى أعثر على
ما قيل فيه مما يؤخذ عليه من كلمات ، فلم أظفر بشيء غير ما أشار
إليه الذهبي ، بأن في مجالسه غلطات وأحاديث واهية (٢) .
وقد أصاب في بعض ما قاله ، فإن وجود عدد كبير من الأحاديث
الواهية إلى جانب الأحاديث الصحيحة والحسنة في كتابنا هذا -
الحجة على تارك المحجة - وفي الأجزاء الموجودة من أماليه لخير
دليل على ما قاله .

ولكن قوله هذا لا يحط من مكانته العلمية ، ولا ينال من عدالته
وصدقه ، لأنه اهتم برواية جميع ما في كتابه وفي أماليه بإسناده

(١) الإنس الجليل (٢٩٨/١) .

(٢) سير أعلام النبلاء (١٤٠/١٩) .

المسلسل إلى قائله ، وهذا مما يبرئه من عهده ، فإن من أسند فقد أحال .

ولكن لا نشك أن هذا نقد في منهجه ، وقدح في أسلوبه الذي سلكه في تأليف الكتب .

ولم يكن رَضِيَ اللهُ عَنْهُ هو الوحيد الذي اختار هذا الأسلوب ، بل شاركه في هذا الجانب المنهجي جماعة من علماء السلف كالطبراني وأبي الشيخ الأصبهاني وابن بطة واللالكائي وأبي نعيم والبيهقي والخطيب وغيرهم من العلماء الذين اختاروا هذا المنهج وسلكوا هذا الطريق في رواية الأحاديث والآثار ، وتأليف الكتب والمؤلفات ، وقد أجاب عنه العلماء بأجوبة علمية ، وسوف نفصل الكلام عليه في فصل خاص عند دراسة الكتاب وبيان منهج المؤلف .



المبحث الثالث

ثقافته المتنوعة وأثاره الخالدة

إن حياة المؤلف رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كانت حافلة بالأعمال العلمية في مجالات عديدة من العلوم والثقافة ، وثبتت له الإمامة في كثير من الجوانب العلمية فهو إمام في الحديث وعلومه ، رواية ودراية ، وإمام في العقيدة ، ومؤلف كتاب «الحجة على تارك المحجة» ، وإمام في السنة لشدة تمسكه بها ، وإمام في الفقه والإفتاء ، وقد وصف بالإمام العالي المقام ، وشيخ الشافعية بالشام ، ومفتي الأنام ، وإمام في باب التأليف والتصنيف ، فقد ذكروا عنه قوة تأليفه وكثرة تصانيفه ، وإمام في الوعظ والتدريس فقد أشادوا بطريقته المثلى في التدريس . وكل هذا يدل على غزارة علمه ، وسعة اطلاعه ، وتنوع ثقافته ، واهتمامه البالغ في أداء واجبه ، وتحليه بالأخلاق الفاضلة والعادات النبيلة .

ونحن إذ نركز في هذا الفصل على إبراز ثقافته ، نتناول بعض الجوانب المهمة من حياته العلمية لهذا الغرض ، فنلقي ضوءاً على الجانب الفقهي ، والجانب الحديثي ، والجانب التدريسي ، والجانب التألفي .

نصر الفقيه

إن المؤلف رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كان ذا ثقافة متنوعة ومعرفة واسعة في مختلف مجالات العلوم ، ولكن الجانب الفقهي كان من أشهر وأبرز الجوانب

التي سيطرت على أعماله العلمية ، إذ كرس معظم جهوده لخدمة هذا الجانب العلمي ، وامتاز من بين أقرانه من الفقهاء الشافعية في بلاد الشام بجمع الرواية والدراية ، وقوة الحفظ والإتقان ، والاعتماد على نصوص الكتاب والسنة مما ساعده كثيرا على ما أحرزه في هذا المجال من تقدم وتفوق ملحوظين ، فوصف بشيخ الإسلام (١) ، وشيخ المذهب بالشام (٢) ، ومفتي الأنام (٣) .

فلم يكن رَحْمَةُ اللَّهِ مِنْ الْفُقَهَاءِ الَّذِينَ سَيَّرَ عَلَيْهِمُ الْجُمُودَ الْفِكْرِيَّةَ ، واقتصرت هممهم في البحث عن أقوال أئمتهم ، وتركزت جهودهم لتأييد مذهبهم ، ولا يمكن لهم الخروج عن الدائرة التي رسمها كبار المذهب ، فعرفوا بالتقليد الشخصي الجامد .

ولكننا نرى أنه يقول يقول بخلاف القول المعتمد في المذهب أحيانا ويبيدي رأيه بما يراه صحيحا في ضوء النصوص الواردة .

ثم إن اختلاف الفقيه عن القول الذي يعتمد عليه في مذهبه ، يدل على إلمامه وبراعته بعلم الفقه ، وقوة استنباطه للأحكام الفقهية ، وتحليه بمقومات الإمامة ، وقد وصفه العلماء بالإمام (٤) ، وبالإمام

(١) سير أعلام النبلاء (١٣٦/١٩) .

(٢) طبقات الشافعية للأسنوي (٣٨٩/٢) ، الإنس الجليل (٢٩٨/١) .

(٣) مرآة الجنان (١٥٢/٣) .

(٤) تهذيب الأسماء واللغات (١٢٥/٢) ، المعجم (٢٠٨) ، العبر (٣٦٣/٢) ، العلوة للعلي الغفاري

(١٨٧) ، سير أعلام النبلاء (١٣٦/١٩) ، تراجم رجال ألفية العراقي (٨٣/٢) ، شذرات

الذهب (٣٩٥/٣) .

العالي المقام (١) .
ولقب الإمام لا يطلق إلا على من استجمع مقومات الإمامة في العلم والدين .

وقد سبق أن ذكرت أن أكثر المترجمين له من العلماء والأئمة وصفوه بالفقيه ، فقد وصفه به ، كل من الخطيب البغدادي ، والحافظ ابن عساكر والحافظ الذهبي والياضي والسبكي والقاضي ابن شهبة والحافظ ابن حجر وابن تغري بردي وابن العماد الحنبلي وحاجي خليفة وإسماعيل باشا البغدادي (٢) .

فكان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ من العلماء الذين تحلوا بالفهم وفقهوا في الدين ، ففسروا شريعة الله ، وأوضحوا أحكامها ، وبينوا حلالها من حرامها . وقد قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : « من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين » (٣) .

ومن هذا المنطلق فإننا نرى أن الله سبحانه قد جمع له علم الرواية والدراية وأعطاه قوة الاستنباط للمسائل الفقهية ، فلم يكن فقيها شافعيًا فقط ، بل برع في المذهب وتفوق فيه ، فعد من كبار علماء المذهب ، فوصف بشيخ الشافعية بالشام (٤) ، وشيخ

(١) مرآة الجنان (١٥٢/٣) .

(٢) تاريخ بغداد (٤٣/١ ، ٣٢٩/١١) ، تاريخ دمشق (٢٦٩/١٧) ، سير أعلام النبلاء (١٣٦/١٩) ، العبر (٢٦٣/٢) ، العلو (١٨٧) ، مرآة الجنان (١٥٢/٣) ، طبقات الشافعية (٢٧٤/١ و ٢٧/٤) ، المعجم المفهرس (٥٨٠/٢) ، النجوم الزاهرة (١٦٠/٥) ، شذرات الذهب (٣٩٥/٣) ، كشف الظنون (٦٣١) ، إيضاح المكنون (١٢٩/١) .

(٣) يأتي تخريجه برقم (١٠٦) .

(٤) الذهبي في العبر (٣٦٣/٢) ، والياضي في مرآة الجنان (١٥٢/٣) ، والحسيني في تراجم رجال =

المذهب بالشام (١) .

وهذه الأوصاف تدل على اشتهاؤه وعلو شأنه وبراعته في الفن ، وقد ساعده على تقدمه ونبوغه في هذا المجال إلى جانب ما كان يحظى به من ذكاء وحفظ ، وفهم وإتقان ، تفقده على كبار فقهاء عصره في بلاد الشام والواردين إليها ، وكذلك رحلاته الكثيرة إلى أماكن متعددة ، فقد درس على كل من الفقيه : أبي الفتح سليم بن أيوب الرازي بصور ، والفقيه أبي عبد الله محمد بن بيان الكازروني بديار بكر ، والفقيه أبي الفرج محمد بن عبد الواحد الدارمي بدمشق ، والفقيه القاضي أبي الطيب طاهر بن عبد الله الطبري ببغداد .

وهؤلاء كانوا من كبار فقهاء الشافعية وأئمتهم في عصره ، فكان لهم أثر بالغ في حياة المؤلف العلمية .

ومن أكبر الشواهد على نبوغه وبراعته وتقدمه في الفقه ، إنتاجه العلمي الهائل في هذا المجال ، ومن المعلوم أن هذا الميدان لا يدخل فيه إلا من اجتمع لديه ملكة في إدراك جزئيات الأحكام الشرعية ، وقوة لاستنباط المسائل الفقهية وخبرة في أقوال العلماء واختلافهم ، مع الفهم الثاقب والمهارة الكافية ، وكان المؤلف رحمته الله ممن اجتمعت لديه هذه الأوصاف التي ساعدته على الدخول فيه بكل جدارة ، ومكنته من تزويد المكتبة الإسلامية بمؤلفات قيمة وكتب

= ألفية العراقي (٨٣/٢) ، وابن العماد في شذرات الذهب (٣٩٥/٣) .

(١) الأسنوي في طبقات الشافعية (٣٨٩/٢) ، ومجير الدين الحنبلي في الإنس الجليل (٣٨٩/١) .

نافعة ، ومن أهم هذه المؤلفات ، كتاب « الانتخاب » في سبعة عشر مجلدا ، وكتاب « التهذيب » في عشر مجلدات ، وكتاب « التقريب » وكتاب « الكافي » وكتاب « المقصود » وكتاب « الفصول » كلها في الفروع .

ولعدم وجود أكثر مؤلفاته لا نستطيع أن نحدد طريقته ومنهجه في التأليف ، وكذلك لا يمكن الحكم على محتوياتها ، ولكن يغلب على ظني أن الثلاثة الأولى منها قد غطت أكثر المسائل الفقهية واتسمت بالشمول .

فهذه وغيرها من المؤلفات التي سنفصل الكلام عنها عند ذكر مؤلفاته إذ تعتبر تحقيقات وإنجازات هامة في الفروع ، لتؤكد مكانة نصر الملموسة ومقدار نصيبه من الفقه .

ثم إن المؤلف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ له جهد بارز في المذهب الشافعي ، فلم يكن مقلدا بحتا ، بل كان فقيها مجتهدا في حدود مذهب الشافعي ، وهو أحد أعلامه ، وكانت له اختيارات صائبة ومناقشات طيبة ، تدل على فهمه النصوص وقوة استنباطه للمسائل ، ولذا اهتم بنقل آرائه وذكر أقواله كل من ألف في الفقه الشافعي .

وقد تصفحنا بعض كتب المذهب ، فقيدنا بعض آرائه وترجيحاته الفقهية ، نذكرها مع إحالتها إلى مظانها .

١ - باب الأواني : (المضيب بالفضة) .

قلت : قد قطع بتحريم المضيب بالذهب - بكل حال - جماعات غير الشيخ أبي إسحاق ، منهم صاحب الحاوي وأبو العباس

الجرجاني ، والشيخ أبو الفتح نصر المقدسي والعبدي وهذا هو الصحيح (١) .

٢ - باب في المستحاضات : (المستحاضة الثالثة ، المعتادة غير المميزة) .

قلت : قد نقل الخلاف في هذه الصورة وتخريجها على الخلاف في ثبوت العادة بمرة ، جماعة . منهم القاضي أبو الطيب ، والمحاملي والسرخسي والشيخ أبو الفتح نصر المقدسي ، وصاحب البيان وغيرهم (٢) .

٣ - قراءة الفاتحة في الصلاة : (يسن للإمام والمنفرد ، قراءة شيء بعد الفاتحة في صلاة الصبح) .

قلت : لو قرأ السورة ، ثم قرأ الفاتحة ، لم تحسب الفاتحة ، على المذهب والمنصوص ، وذكر إمام الحرمين والشيخ أبو الفتح نصر المقدسي في الاعتداد بها وجهين (٣) .

٤ - باب صفة الأئمة : (لو اقتدى بمن ظنه رجلا ، فبان امرأة ، أو خنثى وجبت الإعادة ، وقيل لا تجب إذا بان خنثى وهو شاذ ، ولو ظنه مسلما ، فبان كافرا ، يتظاهر بكفره كاليهودي ، وجب القضاء ، وإن كان يخفيه ويظهر الإسلام ، كالزنديق والمرتد ، لم يجب القضاء على الأصح) .

(١) روضة الطالبين (٤٦/١) .

(٢) المرجع السابق (٢٤٨/١) .

(٣) روضة الطالبين (١٣٨/٢) .

قلت : هذا الذي صححه هو الأقوى دليلا ، ولكن الذي صححه الجمهور وجوب القضاء ، وممن صححه الشيخ أبو حامد والمحاملي ، والقاضي أبو الطيب ، والشيخ نصر المقدسي ، وصاحب الحاوي والعدة وغيرهم (١) .

٥ - باب الدفن : (ويستحب أن يلقن الميت بعد الدفن فيقال يا عبد الله يا بن أمة الله ، اذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وأن الجنة حق وأن النار حق . . .) .

قلت : هذا التلقين استحبه جماعات من أصحابنا ، منهم القاضي حسين ، وصاحب التتمة ، والشيخ نصر المقدسي في كتابه « التهذيب » وغيرهم ، ونقله القاضي حسين عن أصحابنا مطلقا ، والحديث الوارد فيه ضعيف ، لكن أحاديث الفضائل يتسامح فيها عند أهل العلم من المحدثين وغيرهم .

وقد اعتضد هذا الحديث بشواهد من الأحاديث الصحيحة (٢) .

٦ - باب الدفن : (لا يكره الدفن في الأوقات التي نهي عن الصلاة فيها) .

ونقل الشيخ أبو حامد وصاحب الحاوي والشيخ نصر المقدسي وغيرهم ، الإجماع عليه (٣) .

٧ - باب قسم الصدقات : (مسائل تتعلق بالفقير والمسكين) .

(١) المرجع السابق (١/١٥١) .

(٢) روضة الطالبين (١/٣٥٣) .

(٣) المرجع السابق (٢/١٤٣) .

إذا كان له عقار ينقص دخله عن كفايته فهو فقير أو مسكين ، فيعطى من الزكاة تمامها ، ولا يكلف بيعه ، ذكره الجرجاني في التحرير والشيخ نصر وآخرون (١) .

٨ - باب قسم الصدقات : (الصنف الخامس : الرقاب ، وهم المكاتبون ، فيدفع إليهم ما يعينهم على العتق بشرط أن يكون معه ما يفيء بنجمه) .

قال الشيخ أبو الفتح نصر المقدسي الزاهد من أصحابنا : إن كان هذا الحاصل آخر النجوم ، ويحصل العتق بالدفع إلى السيد بإذن المكاتب ، فهو أفضل ، وإن حصل دون ما عليه ، لم يستحب دفع إلى السيد ، لأنه إذا دفعه إلى المكاتب اتجر فيه ونماه ، فهو أقرب إلى العتق (٢) .

٩ - باب الزكاة :

من لا يحسن الكسب بحرفة ولا تجارة ، قال العراقيون : يعطى كفاية العمر الغالب ، وقال آخرون منهم الغزالي والبغوي : يعطى كفاية سنة لأن الزكاة تتكرر كل سنة .

قلت : وممن قطع بالمسألة صاحب التلخيص والرافعي في المحرر ، ولكن الأصح ما قاله العراقيون ، وهو نص الشافعي رضي الله عنه ، ونقله الشيخ نصر المقدسي عن جمهور أصحابنا قال : وهو المذهب (٣) .

(١) المرجع السابق (٣١٣/٢) .

(٢) المرجع السابق (٣١٥/٢) .

(٣) روضة الطالبين (٣٢٤/٢) .

١٠ - باب الزكاة : (في كيفية الضرب إلى المستحقين وما يتعلق به إذا اجتمع في شخص صفتان ، فهل يعطى بهما ، أم بأحدهما فقط ؟) .

قلت : قال الشيخ نصر : إذا قلنا : لا يعطى إلا بسبب ، فأخذ بالفقر ، كان لغريمه أن يطالبه بدينه ، فيأخذ ما حصل له ، وكذا إن أخذه بكونه غارما ، فإذا بقي بعد أخذه منه فقيرا فلا بد من إعطائه من سهم الفقراء لأنه الآن محتاج ^(١) .

١١ - باب الصدقات : يجب استيعاب الأصناف الثمانية عند القدرة عليهم . ولو لم يوجد إلا دون الثلاثة من صنف ، يجب إعطاء ثلاثة منهم ، وهذا هو الصحيح ، ومراده : إذا كان الثلاثة متعينين ، أعطى من وجد ، وهل يصرف باقي السهم إليه إذا كان مستحقا ، أم ينقل إلى بلد آخر ، قال المتولي : هو كما لو لم يوجد بعض الأصناف في البلد .

قلت : الأصح أن يصرف إليه ، وممن صححه الشيخ نصر المقدسي ودليله ظاهر ^(٢) .

١٢ - باب ما يفسد الماء من الطاهرات وما لا يفسده :

وإن وقع فيه ما لا يختلط به فغير رائقته كالدهن والطيب والعود ففيه قولان :

(١) المرجع السابق (٢/٣٢٩) .

(٢) روضة الطالبين (٢/٣٣٠) .

قال النووي : هذان القولان مشهوران ، الصحيح منهما باتفاق الأصحاب رواية المزني أنه يجوز الطهارة به ، وقطع به جمهور كبار العراقيين ، منهم : الشيخ أبو حامد وصاحبه الماوردي والمحاملي في كتبه المجموع والتجريد والمقنع وأبو علي البندنجي في كتابه الجامع ، والشيخ أبو الفتح نصر بن إبراهيم بن نصر المقدسي الدمشقي الزاهد في كتابيه « التهذيب » و« الانتخاب » (١) .

١٣- جلود الميتة : وهل يفتقر إلى غسله بالماء بعد الدباغ ؟ فيه وجهان :

اختلف المصنفون في أصحهما فالأكثر على أن الأصح وجوب الغسل ، ممن صحه الفوراني ، وإمام الحرمين والغزالي في البسيط والوجيز ، وابن الصباغ والمتولي والرؤياني والرافعي وآخرون ، وقطع به الشيخ أبو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي في كتابيه « التهذيب » و« الانتخاب » (٢) .

١٤ - باب المياه : وإن كانت النجاسة ميتة لا نفس لها سائلة كالذباب والزنبور وما أشبههما ففيه قولان :

أما الوزغ فقطع الجمهور بأنه لا نفس له سائلة ، ممن صرح بذلك الشيخ أبو حامد في تعليقه والبندنجي والقاضي حسين وصاحب الشامل وغيرهم ، ونقل الماوردي فيه وجهين : كالحية ، وقطع الشيخ

(١) كتاب المجموع (١/١٥٤) .

(٢) المصدر المذكور (١/٢٨٠) .

نصر المقدسي بأن له نفسا سائلة ، قال : وقد ذكره أبو عبيد في كتاب الطهور ، وأنه قتل فوجد في رأسه دم ، وكذا رأيت أنا في كتاب الطهور لأبي عبيد أن الوزغ والحية لهما نفس سائلة ودم في رؤسهما (١) .

١٥ - كتاب الوضوء :

التسمية مستحبة في الوضوء وجميع العبادات وغيرها من الأفعال حتى عند الجماع ، كذا صرح به القاضي أبو الطيب وصاحبه ابن الصباغ والشيخ نصر وآخرون .

قال الشيخ نصر : وكذا عند الخروج من بيته ، وعقد البخاري في ذلك بابًا في « صحيحه » فقال : باب التسمية على كل حال وعند الوقاع (٢) .

١٦ - كتاب المسح : (وإذا مسح على الخف ثم خلعه إذا انقضت مدة المسح وهو على طهارة المسح ، يغسل قدميه أو يستأنف الوضوء) .

أما أصح القولين فاختلفوا فيه فصحح جماعة وجوب الاستئناف ، منهم : الشيخ أبو حامد والقاضي أبو الطيب في « تعليقه » ، والمحاملي في كتابه ، وسليم الرازي في كتابه « رؤوس المسائل » وصاحب العدة ، والشيخ نصر المقدسي في كتابيه « الانتخاب » و « التهذيب » وقطع به جماعات من أصحاب المختصرات ك « المقنع » للمحاملي و « الكفاية »

(١) كتاب المجموع (١/١٨٠) .

(٢) المصدر المذكور (١/٣٨٥) .

لسليم الرازي و « الكافي » للشيخ نصر (١) .
فهذه الآراء والأقوال التي ذكرناها وغيرها من اختياراته وترجيحاته
المنثورة في المراجع الفقهية ، تؤكد لنا مكانة المؤلف في الفن
ورسوخ قدمه فيه ، كما تبين لنا مقدار نصيبه في الفقه .
ثم إن الهدف بذكر هذه المسائل هو إبراز شخصية نصر الفقهية وبيان
منزلته في المذهب الشافعي ، وليس المقصود بذكرها ترجيحها أو
تقويمها أو الحكم عليها مطلقاً .

نصر المحدث :

إن المؤلف رحمته الله إلى جانب براعته وإلمامه بعلم الفقه ، واستنباط
المسائل الفقهية من مصادرها الأصلية ، كانت له مشاركة طيبة ونصيب
وافر في مجال الحديث وعلومه .

فقد وصفه كل من ابن الأبار والذهبي والياضي وابن العماد الحنبلي
« بالمحدث » (٢) .

وكان له إلمام تام ورأي صائب في علوم الحديث ومصطلحه ،
يعتمد على قوله في الباب ، وينقل رأيه في كتب الفن ويدل على ذلك
ما ذكره أبو عمرو بن الصلاح والحافظ العراقي وزين الدين زكريا
الأنصاري : بأنه كان من المجيزين الرواية بالإجازة بما يرويه إجازة .

(١) كتاب المجموع (١/٥٥٦) .

(٢) انظر : المعجم (٢٠٨) ، العبر في خبر من غير (٣٦٣/٢) ، مرآة الجنان (٣/١٥٢) ، شذرات
الذهب (٣/٣٩٥) .

قال أبو عمرو بن الصلاح في مقدمته : النوع السابع من أنواع الإجازة إجازة المجاز ، مثل أن يقول الشيخ : أجزت لك مجازاتي ، أو أجزت لك رواية ما أجز لي روايته ، فمنع من ذلك بعض من لا يعتد به من المتأخرين ، والصحيح والذي عليه العمل أن ذلك جائز . إلى أن قال : « وحكى الخطيب الحافظ تجويز ذلك عن الحافظ الدارقطني والحافظ ابن عقدة وغيرهما ، وقد كان الفقيه الزاهد نصر ابن إبراهيم المقدسي يرى الإجازة من الإجازة ، حتى ربما والى في روايته بين إجازات ثلاث » (١) .

وقال العراقي في ألفيته :

والتاسع الإذن بما أجزا لشيخه فليل لن يجوز
ورد والصحيح الاعتماد عليه قد جوزه النقاد
أبو نعيم وكذا ابن عقدة والدارقطني ونصر بعده
ثم شرحه بقوله . . . : « قال محمد بن طاهر سمعته - أي
المؤلف رحمته الله بيت المقدس يروي بالإجازة عن الإجازة وربما تابع
بين ثلاث منها » (٢) .

ولم تقتصر أعماله رحمته الله في رواية الحديث وحفظه ، فيكون عالما بمتون الآثار وراويا لها فقط ، ولكن الله جمع له علم الرواية الدراية ، وأعطاه فهم الحديث وفقه ، وقوة الاستنباط للأحكام الشرعية ، من

(١) مقدمة ابن الصلاح (٧٨) .

(٢) التبصرة والتذكرة (٨٣/٢) .

مصادرها الأصلية - الكتاب والسنة - ويبرهن على ذلك ما يصدره من الأحكام والمسائل المتعلقة بالأحاديث والآثار .

ومن نماذجها : ما قاله عقب تخريج حديث سبرة الجهني : أن الرافضة اعترضوا على الأحاديث التي تنص على نسخ نكاح المتعة وتحريمه وقالوا : « رويتم عن علي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ حرّمها عام خيبر ، وفي حديث سبرة الجهني أن النبي ﷺ حرّمها عام حجة الوداع ، وروي عام الفتح ، وكان عام خيبر سنة ست من الهجرة (١) ، وحجة الوداع في سنة عشر ، والفتح في سنة ثمان ، وهذا اضطراب يمنع من الاحتجاج بها » .

ثم أجاب عنه ﷺ بأجوبة منها :

وجواب آخر : وهو أنه ليس في الاختلاف في العام الذي حرّمها فيه أكثر من الجهل بوقت التحريم ، وهذا لا يمنع من إثبات التحريم والاحتجاج به ، ألا ترى أنهما - أي علي وسبرة رضي الله عنهما - لو نقلوا التحريم ولم ينقلوا وقت التحريم وقالوا : نسينا وقت التحريم ، لكان إثبات التحريم واجبا ، وهذا بمنزلة ما لو نقلنا حكما لرسول الله ﷺ في رجل ، واختلفا في اسمه أو في وقته ، لم يمنع ذلك من إثبات حكمه والاحتجاج به ، وقد وجد مثل ذلك ، فإنه روي حكم النبي ﷺ في المستحاضة ، فقال بعض الرواة : فاطمة بنت حبيش ، وقال بعضهم : فاطمة بنت قيس ، واختلفوا في خبر القلتين ، فقيل :

(١) كذا في تحريم المتعة ، والصواب سنة سبع .

محمد بن عباد بن جعفر ، وقيل : محمد بن جعفر بن الزبير ، ولم يضر ذلك الخبر (١) .

وجواب آخر : وهو أنه نهى عنها عام خبير ، ثم رخص فيها عام حجة الوداع أو عام الفتح ، لحاجة كانت بهم إليها على ما يأتي بيانه بالدليل الواضح في ذلك ، ثم حرمها بعد ذلك فتكون رواية علي رضي الله عنه ورواية سبرة الجهني حقا وصوابا ، ولا يمتنع إباحة الشيء عند الحاجة إليه ، ونسخه عند الغناء عنه ، وثبوت الناسخ إلى يوم القيامة ، ألا ترى أن النبي ﷺ أباح في صدر الإسلام ترك الغسل بالتقاء الختانين إذا لم يكن هناك إنزال بقوله ﷺ : « الماء من الماء » أي الاغتسال بالماء عند إنزال الماء ، وكان ذلك للحاجة الداعية لهم إليه ، وعدم إمكان الغسل لهم به ، ثم نسخ ذلك عند ارتفاع الحاجة ، وكثرة الكسوة ، وعدم الخوف من برد الماء لقلّة الكسوة ، فقال : « إذا التقى الختانان فقد وجب الغسل » ثم كان الأمر المعمول به هو الغسل ، وأشياء كثيرة مثل هذا . . . » (٢) .

ثم إنه ﷺ لم يكن محدثا محضا وراويا بحثا ، فيكتفي بروايته الحديث وحمله ، بل كان عالما بطرق الأحاديث وأسانيدها ، خبيرا في عللها ومعرفة رواتها .

ولا يقوم بمثل هذا إلا من وهبَه الله الفهم الثاقب والذكاء التام ،

(١) تحريم نكاح المتعة (٣٧) .

(٢) تحريم نكاح المتعة (٣٨ - ٣٩) .

ويتمتع بالحفظ والإتقان ، والمعرفة التامة لأحوال الرواة وطرق الحديث ، وقد شهد له العلماء بهذا ووصفوه بالحافظ (١) .
ومما يدل على خبرته في نقد الرجال ومعرفة أحوالهم آراؤه الموجودة في كتب الفن .
ففي ترجمة الوليد بن الوليد بن زيد العنسي ذكر الذهبي عن المؤلف نصر أنه متروك .

وفي ترجمة محمد بن صالح التميمي : أورد من طريق المؤلف حديثا واهيا عن محمد بن صالح التميمي ثنا مالك عن نافع عن ابن عمر مرفوعا وقال : تفرد به عنه محمد بن صالح وهو ليس بثقة (٢) .
وبجانب هذا فقد روى الخطيب في « تاريخ بغداد » (٣) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤) من طريقه أقوالا كثيرة في جرح الرواة وتعديلهم .

(١) الذهبي في العبر (٣٦٣/٢) ، والياقعي في مرآة الجنان (١٥٢/٣) ، وابن العماد في شذرات الذهب (٣٩٥/٣) ، وحاجي خليفة في كشف الظنون (٥٨) ، وإسماعيل باشا البغدادي في هدية العارفين (٤٩٠/٢) .

(٢) ميزان الاعتدال (٣٥٠/٤ ، ٥٨٢/٣) ، سير أعلام النبلاء (٥٥٥/١٧) ، كتاب الأربعين (٥٥/ب ، ٥٧/ب) .

(٣) وانظر على سبيل المثال : (٤٣/١ ، ١٤٧ ، ٣٢٥/٨ ، ٣٢٩/١١ ، ٣٦٣) .

(٤) ٧٣ ، ٨٠ ، ٩٥ ، ٩٧ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٨٥ ، ٢٩٦ ، ٣٤٠ ، ٣٥٦ ، ٣٩٠ ، ٤٢٨ ، ٤٦٤ ، ٥٠٨ ، ٥٤٤ (المجلد الأول من حرف العين) ، ١٠ ، ٣٠ ، ٨٧ ، ١٠٥ ، ١٢١ ، ١٤٨ ، ١٦٢ ، ٢٦٣ ، ٣٢٨ ، ٣٨٢ ، ٤٦٩ ، ٤٨٢ ، ٥٠٤ ، ٥٢٤ (المجلد الثاني من حرف العين) .
١٩٩ ، ٣٢٩ ، ٣٣٥ (القسم الأول من السيرة النبوية) .

ثم إن مؤلفاته الحديثية قد تبين لنا براعته في الفن . فهو محدث سلك فيها منهج المحدثين في رواية الأحاديث والآثار ، فيروى حديثا واحدا من طرق متعددة مع بيان الاختلاف في اللفظ الوارد فيه .

وعلى سبيل المثال فقد روى حديث علي رضي الله عنه في النهي عن نكاح المتعة وتحريمه من أكثر من عشرين طريقا (١) ، وروى حديث سبرة الجهني في منع نكاح المتعة وأنه كان في أول الأمر ثم نسخ ، من أكثر من عشرة طرق (٢) .

وحديث عائشة : « من أحدث في أمرنا هذا ... » من أربعة طرق (٣) .
وحديث عبد الله بن عمرو بن العاص : لكل عمل شره ، ولكل شره فترة . . من ثلاثة طرق (٤) ، وهكذا .

وهذه الطرق الكثيرة والمتعددة تدل على إمامه ومعرفته وبراعته في هذا الفن .

ثم هناك دليل آخر يدل على مشاركته في هذا الجانب من أهم جوانب الثقافة ، وإحرازه ، وتقدمه في علوم الحديث ، تأليفاته القيمة في هذا الباب ، فمن أهم مؤلفاته في الحديث ، كتابه : « الحججة على تارك المحجة » ، و « كتاب المصباح الداعي إلى

(١) تحريم نكاح المتعة (ص ٢٣ - ٣٣) ، (٤٠ ، ٤١) .

(٢) تحريم نكاح المتعة (ص ٣٤ - ٤٠) ، (٤٧ ، ٤٨) .

(٣) انظر حديث رقم : (٤٠٤ - ٤٠٨) في كتابنا هذا .

(٤) انظر رقم : (٤٠ ، ١٢١ ، ١٢٢) .

الفلاح » ، و « كتاب الأربعين » ، و « كتاب في طرق حديث قبض العلم » وكذا « الأمالي » و « المجالس » والأجزاء الكثيرة الموجودة من أحاديثه .

فهذه الكتب وغيرها من المؤلفات الأخرى - التي سندكرها عند ذكر مؤلفاته في المبحث الرابع من هذا الفصل - تؤكد لنا مكانته الملحوظة وتفوقه الملموس في فن الحديث وعلومه .

نصر المدرس :

إن المؤلف نصر المقدسي رحمته الله كان لديه همة عالية ومثابرة عظيمة ، واهتمامات بالغة للوعظ والتدريس ، فقد بذل أكثر أوقات حياته في هذا المجال الحيوي من مجالات العلوم والثقافة ، يحدث ويفتي ويدرس ويملي على طلبة العلم فيشفي العليل ويسقي الخليل وينشر العلم حتى تخرج به الأصحاب ^(١) .

ولم يكن اشتغاله في مجلسه للدرس ومواظبته عليه لمدة تقارب خمسين سنة ، إلا لأجل رغبته الصادقة وحرصه الشديد في نشر العلم وإفادة الناس ، وأداء الأمانة التي حملها عن شيوخه وأساتذته من العلماء والأئمة ؛ لأن التدريس والتأليف هما من أهم السبل في تحقيق هذه الرغبة الصادقة وأداء هذه المسؤولية العظيمة على وجه أكمل . وفي هذه المجالس التي كان يعقدها أبو الفتح تمكن العلماء وطلبة العلم من الرواية عنه والانتفاع به .

(١) سير أعلام النبلاء (١٣٧/١٩) .

ففي سنة أربعين وأربع مائة عندما عاد المؤلف رحمته الله من الرحلة التي قام بها إلى صور ، وتفقه فيها على الفقيه سليم الرازي ، نزل بيت المقدس واستقر بها مدة طويلة ^(١) ، اتجهت همته إلى أن يعقد مجلسا للدرس ، ويستقبل عهدا جديدا ، عهد المسؤولية ونشر العلم ، تأسيا بمن سلفه من العلماء والأئمة ، فعقد مجلسا للدرس في المسجد الأقصى ببيت المقدس عند باب الرحمة ، يدرس ويفتي ويحدث إلى أن نزل دمشق . وهذا المكان الذي كان يجلس فيه عرف بالزاوية الناصرية نسبة إليه ^(٢) ، ثم جلس مكانه أبو حامد الغزالي سنة ثمانية وثمانين وأربعمائة ، فعرف بالزاوية الغزالية ^(٣) .

وفي شهر صفر سنة إحدى وسبعين وأربعمائة من الهجرة نزل صور وأقام بها نحو عشر سنين ^(٤) .

ولكن لم يتوقف رحمته الله في أداء المسؤولية في هذه الفترة من حياته التي قضاها في صور مدينة الرافضة آنذاك ، بل انتهز فرصة وجوده في هذه البلدة لنشر العلم وأداء الواجب ، فكان يعقد مجالس العلم ، ويدرس ويفتي ويحدث مع كثرة المخالفين له من الرافضة ^(٥) .

(١) شذرات الذهب (٣/٣٩٥) .

(٢) كذا في المراجع ، والقياس يقتضى أن يقال : « النصرية » بدل « الناصرية » .

(٣) الإنس الجليل (١/٢٩٨) .

(٤) تاريخ دمشق (٢/٢٦٩) ، تبين كذب المفترى (٢٨٦) ، المعجم (٢٠٨) ، مرآة الجنان (٣/١٥٣) ، طبقات الشافعية (٤/٢٨) .

(٥) تبين كذب المفترى (٢٨٦) ، مرآة الجنان (٣/١٥٣) ، طبقات الشافعية للسبكي (٤/٢٨) .

وفي نهاية المطاف سنة ثمانين وأربعمائة من الهجرة عاد إلى دمشق مرة أخرى واستقر بها (١) .

واشغل بالتدريس والتأليف ، فاشتهر أمره وعظم شأنه وذاع فضله ، وتوجه إليه الركبان من كل قطر من أقطار العالم الإسلامي .

واختار رَحِمَهُ اللهُ المسجد الجامع بدمشق لحلقات درسه ، وجلس بالزاوية الغربية من المسجد فاشتهر بالزاوية الناصرية نسبة إليه ، ثم جلس مكانه أبو حامد الغزالي بعد وفاة المؤلف رَحِمَهُ اللهُ فعرفت بالغزالية (٢) .

قال الذهبي : . . . « ولحقه الغزالي وتفقه به وناظره ، وكان يشتغل في جامع دمشق في الزاوية الغربية الملقبة بالغزالية » (٣) .

وقال السبكي : « كان الغزالي يكثر الجلوس في زاوية بالجامع الأمور المعروفة باليوم بالغزالية نسبة إليه ، وكانت تعرف قبله بالناصرية نسبة إلى الشيخ نصر المقدسي » (٤) .

وكان بيت المقدس ثم دمشق من أهم المراكز العلمية في هذا العصر بعد بغداد ونيسابور ، وقد قصد كثير من العلماء في هذه الفترة إلى بلاد الشام .

(١) تاريخ دمشق (٢٦٩/٢/١٧) ، تبين كذب المفتري (٢٨٦) ، المعجم (٢٠٨) ، تهذيب الأسماء واللغات (١٢٥/٢) ، سير أعلام النبلاء (١٣٧/١٩) ، طبقات الشافعية للسبكي (٢٨/٤) .

(٢) وهي الزاوية الشمالية الغربية شمالي مشهد عثمان المعروف الآن بمشهد النائب من الجامع الأموي ، منسوبة إلى الشيخ نصر المقدسي والغزالي . قال ابن شداد : أول من درس بها الشيخ نصر المقدسي ثم جمال الدين الدولعي ، ثم أخوه شرف الدين ، ثم أصيل الدين الأسعدي وغير ذلك . الدارس في تاريخ المدارس للنعمي (٤١٢/١) .

(٣) سير أعلام النبلاء (١٣٩/١٩) .

(٤) طبقات الشافعية (١٩٧/٦) .

فقد وصل في هذه الفترة من الزمان كل من الخطيب البغدادي وأبي حامد الغزالي وأبي بكر بن العربي ، وأقاموا فيها مدة وحضروا مجلس المؤلف رَضِيَ اللهُ عَنْهُم فأفادوا واستفادوا (١) .

وكانت طريقته المثلى وأسلوبه الرائع في التربية والتدريس محل إعجاب كثير من العلماء قديما وحديثا وقد أشادوا بها . فقد ذكر الحافظ ابن عساكر عن بعض أهل العلم أنه قال : « صحبت إمام الحرمين أبا المعالي الجويني بخراسان ، ثم قدمت العراق فصحبت الشيخ أبا إسحاق الشيرازي ، فكانت طريقته عند أفضل من طريقة أبي المعالي ، ثم قدمت الشام فرأيت أبا الفتح فكانت طريقته أحسن من طريقتهما جميعا » (٢) .

وإذا كانت هذه طريقته التي أشاد بها العلماء ، وهذا اهتمامه واعتناؤه في التدريس ، حيث عكف عليه لإفادة طلبة العلم ورواية الحديث ، ولا يلوي على شيء غير الاشتغال به ، حتى لا تشتت جهوده في أغراض أخرى تصرفه عن أداء الواجب ، فقد نرى أنه ألزم نفسه بعض

(١) انظر : ابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٦٩/٢/١٧) ، والنووي في تهذيب الأسماء واللغات (١٢٥/٢) ، والأسنوي في طبقات الشافعية (٣٨٩/٢) ، ومجير الدين الحنبلي في الإنس الجليل (٢٩٨/١) ، وياقوت في معجم الأدباء (٢٤٦/١) ، والمقرئ في نفح الطيب (٣٤٠/١) ، وابن العماد في شذرات الذهب (٣٩٥/٣) .

(٢) تاريخ دمشق (٢٦٩/٢/١٧) ، تبين كذب المفتري (٢٨٦) ، تهذيب الأسماء واللغات (٢/١٢٥) ، سير أعلام النبلاء (١٤٠/١٩) ، مرآة الجنان (١٥٣/٣) ، طبقات الشافعية للسبكي (٢٨/٤) .

الآداب التي تدل على إخلاصه واهتمامه البالغ لأداء هذه المهمة .
وقد سبق فيما ذكرنا أن المؤلف رحمته الله كان لا يجلس في مجلسه للدرس إلا وهو على وضوء .

كما مر بنا القول أن المؤلف رحمته الله كان ورعا حتى في رواية الحديث وحمله ، فقد ذكر ابن عساكر في « تاريخ دمشق » عن أبي الفرج غيث ابن علي قال : « حضرت الفقيه نصرا يوما وهو يقرأ أجزاء ، فجاء في أثناء القراءة قوم وجاء بعدهم صبي صغير ، فلما فرغ من الجزء سأله . . . أن يعيد الفائت فأعاد لهم ، فلما اتصل سماعه أراد أن يمسك ثم قال : لا حتى أعيد فائت هذا الصغير لأنني أخاف أن أسأل عنه ، لم كان هؤلاء أحق بالإعادة منه ، وأعاد له قائمة » (١) .

وقوله هذا يلقي ضوءا على طريقته في التدريس ، ويبين لنا مدى اهتمامه رحمته الله بنشر العلم ، وأداء واجبه الشرعي ، الذي أخذ الله عليه الميثاق من العلماء في قوله : ﴿ لتبيننه للناس ولا تكتمونه ﴾ (٢) ، وحذر رحمته الله عن كتمانها فقال : « من كان عنده علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار » (٣) .

(١) تاريخ دمشق (٢/١٧ / ٣٦٩) .

(٢) آل عمران : ١٨٧ .

(٣) رواه الإمام أحمد في « مسنده » (٢/٢٦٣) ، وأبو داود في « سننه » كتاب العلم ، باب كراهية منع العلم (٤/١٨) ، والترمذي في « سننه » وحسنه ، كتاب العلم ، باب ما جاء في كتمان العلم (٥/٢٩) ، وابن ماجه في « سننه » ، المقدمة ، باب من سئل عن علم فكتمه (١/٩٦) ، والحاكم في « مستدرکه » (١/١٠١) وصححه وأقره الذهبي .

ولا شك أن أسلوبه هذا كان أحد الأسباب التي لفتت الأنظار إليه من العلماء وطلبة العلم ، فتنافسوا في الرحلة إليه والأخذ منه ، والحضور في حلقة درسه ، لينهلوا من منهله ويتلقوا من علومه الغزيرة وليفيدوا من آدابه النبيلة وأخلاقه العالية ، فتوجه إليه العلماء من كل قطر ومصر ، ولذا نرى من حضر في مجلسه للدرس من أهل العلم من هو طوسي كالغزالي من أقصى شرق العالم الإسلامي ، ومن هو أندلسي كأبي بكر بن العربي ، من أقصى غرب العالم الإسلامي ، ومن هو بغدادي كالخطيب من مركز العلوم والثقافة وعاصمة العالم الإسلامي آنذاك .

نصر المؤلف :

كان أبو الفتح نصر المقدسي رحمته الله صاحب تصانيف كثيرة ومؤلفات عديدة ، قد درس وأفتى وحدث وأملى مجالس كثيرة ، وكتب وألف في فنون شتى - كالحديث والفقه والعقيدة والمناقب - وغيرها من العلوم ، فقد اعترف العلماء والمترجمون له بكثرة تأليفه وشهرة تصانيفه .

قال أبو علي البكري : « وله تصانيف في كل فن من الفقه والأصول والزهد ، وتخرج به جماعة من أهل الشام ، وانتفعوا بسيرته وصالح دعوته » (١) .

وقال النووي : « ولأبي الفتح مصنفات كثيرة في المذهب وغيره » (٢) .

(١) كتاب الأربعين (٦٧) .

(٢) تهذيب الأسماء واللغات (١٢٦/٢) .

وقال الذهبي : « الشيخ الإمام العلامة القدوة المحدث مفيد الشام شيخ الإسلام أبو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي صاحب التصانيف والأمالي » (١) .

وقال أيضا : « شيخ الشافعية بالشام ، وصاحب التصانيف ، كان إماما علامة مفتيا محدثا حافظا زاهدا متبتلا ورعا كبير القدر عديم النظر » (٢) .

ووصفه الياضي فقال : « شيخ الشافعية بالشام ، نصر المقدسي صاحب التصانيف » (٣) .

وقال الأسنوي : « نصر المقدسي ، شيخ المذهب بالشام وصاحب التصانيف المشهورة والعمل الكثير والزهد الصادق » (٤) .

وذكره ابن قاضي شعبة فقال : « نصر بن إبراهيم . . . شيخ المذهب بالشام وصاحب التصانيف مع الزهادة والعبادة » (٥) .
فهذه الأقوال كلها تدل على كثرة تأليفه وشهرة تصانيفه في مختلف مجالات العلوم والثقافة .

ومما يدل على ما كتبه الله لمؤلفاته من الشهرة والتلقي بالقبول ، أن كثيرا منها وصلت إلى النووي والأسنوي والذهبي وابن خير الأشبيلي

(١) سير أعلام النبلاء (١٣٦/١٩) .

(٢) العبر (٣٦٣/٢) .

(٣) مرآة الجنان (١٥٢/٣) .

(٤) طبقات الشافعية (٣٩٠/٢) .

(٥) طبقات الشافعية (٢٧٤/١) .

رواية وتحديثا كما ذكروا ذلك^(١) ، بل وصلت إلى الحافظ ابن حجر العسقلاني ، فإنه روى عدة من مؤلفاته بسنده إلى المؤلف في « المعجم المفهرس »^(٢) .

وفيما يلي ذكر أسماء مؤلفاته التي عثرت عليها بعد تتبع المصادر التي ترجمت للمؤلف ، وغيرها من المصادر الأخرى :

١ - كتاب التهذيب :

ذكره كل من النووي في « تهذيب الأسماء واللغات »^(٣) ، والسبكي في « طبقات الشافعية »^(٤) ، والأسنوي في « طبقات الشافعية »^(٥) ، وابن قاضي شهبه في « طبقات الشافعية »^(٦) ، ومجير الدين الحنبلي في « الإنس الجليل »^(٧) ، وابن العماد في « شذرات الذهب »^(٨) ، والحسيني في « تراجم رجال ألفية العراقي »^(٩) ، وإسماعيل باشا

(١) تهذيب الأسماء واللغات (١٢٥/٢) ، طبقات الشافعية (٣٨٩/٢) ، سير أعلام النبلاء (١٣٨/١٩) ، فهرسة ما رواه من شيوخه (١٥٩) .

(٢) المعجم المفهرس (١٥٩/١ - ١٦٠ ، ٥٥٥ ، ٥٨٠/٢) .

(٣) تهذيب الأسماء واللغات (١٢٦/٢) .

(٤) طبقات الشافعية (٢٨/٤) .

(٥) طبقات الشافعية (٣٩٠/٢) .

(٦) طبقات الشافعية (٢٧٥/١) .

(٧) الإنس الجليل (٢٩٨/١) .

(٨) شذرات الذهب (٣٩٦/٣) .

(٩) تراجم رجال ألفية العراقي (٨٣/٢) .

البغدادي في « هدية العارفين » (١) ، والزركلي في « الأعلام » (٢) .
ويعتبر هذا الكتاب من أهم كتب المؤلف في الفقه الشافعي ويقع في
عشر مجلدات ، كما صرح بذلك النووي والذهبي وإسماعيل باشا
والزركلي ورضا كحالة .

ووصفه ابن قاضي شهبة قوله : « إنه قريب من حجم الروضة » (٣) .
ومنهجه فيه أنه يذكر أقوال علماء المذهب وآراءهم ، ثم يتناول
الترجيح بين الأقوال المتعارضة ، أو توضيح الغموض الذي يكتنف
بعض الآراء ، ثم يأتي بالخلاصة ، ويبيد رأيه بما يراه راجحاً في
حدود مذهبه الشافعي .

وقد يخالف السابقين أو يوافقهم ، لكنه يدل على ترجيحاته
واختياراته بالنصوص .

وهذا الكتاب العظيم وإن كان في حكم المفقود إذ لم يذكر أحد
مكان وجوده ، فإن بعض مادته العلمية محفوظة في مؤلفات النووي
والسبكي .

وقد وصل الكتاب إلى النووي من طريق شيخه ابن الأنباري ، عن
القاضي الحرستاني ، عن الفقيه أبي الفتح نصر الله بن محمد بن عبد
القوي المصيبي تلميذ المؤلف (٤) .

(١) هدية العارفين (٢/٤٩٠) .

(٢) الأعلام (٨/٢٠) .

(٣) طبقات الشافعية (١/٢٧٥) .

(٤) تهذيب الأسماء واللغات (٢/١٢٦) .

كما وصل إلى الأسنوي فيقول : « وقد وقع لي من تصانيفه كتاب التهذيب (١) » .

ومما يدل على استفادة النووي من الكتاب وجود المادة العلمية الكبيرة في كتبه من كتاب التهذيب ، فقد اقتبس اقتباسا غير يسير في كتابه « روضة الطالبين » فيقول مرة : قال الشيخ أبو الفتح نصر المقدسي (٢) ، ومرة ثانية يقول : قال صاحب التهذيب أو في التهذيب (٣) ، ويقول مرة أخرى : قال الشيخ أبو الفتح نصر المقدسي في كتاب « التهذيب » (٤) .

ثم إن كتاب « التهذيب » هذا هو أحد المصادر التي اعتمد عليها النووي في كتابه « المجموع شرح المهذب » كما يبدو من النظر فيه (٥) .

(١) طبقات الشافعية (٢/٣٩٠) .

(٢) روضة الطالبين (١/٤٦ ، ١٥١ ، ٢٤٨ ، ٣٥٣) ، (٢/١٤٣ ، ٣١٣ ، ٣١٥ ، ٣٢٤ ، ٣٢٩) .

(٣) (٢/١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١١ ، ١٢٥ ، ١٣٦ ، ١٤٠ ، ١٤٣ ، ١٤٦ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٦٠ ، ١٦٢ ، ١٦٤ ، ١٦٧ ، ١٨٧ ، ١٩٩ ، ٢٠٨ ، ٢٢٢ ، ٢٢٥ ، ٢٢٧ ، ٢٣٧ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٥٥ ، ٢٩٣ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٣ ، ٣٠٦ ، ٣٠٨ ، ٣١٠ ، ٣١٧ ، ٣٢٠ ، ٣٣٣ ، ٣٣٦ ، ٣٣٨ ، ٣٤٢ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٥٠ ، ٣٧٣ ، ٣٧٨ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٣٨٦ ، ٣٨٨ ، ٣٩٥ ، ٤٠٣) .

(٤) (٢/١٣٨ ، ٣٣٠) .

(٥) وانظر على سبيل المثال : (١/١٥٤ ، ١٨٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨٢ ، ٢٨٧ ، ٣٠٩ ، ٣١٤ ، ٣٨٦ ، ٣٩٨ ، ٣٩٩ ، ٤٢٩ ، ٤٨٠ ، ٤٨٤ ، ٥١٠ ، ٥٣٩ ، ٥٥٦) .

٢ - كتاب « الانتخاب » أو « الانتخاب الدمشقي » :

كتاب آخر في الفقه الشافعي يشمل عامة الأحكام والمسائل مع ذكر الخلاف فيها وهو في بضعة عشر مجلدا كما صرح به النووي^(١) ،
والذهبي^(٢) ، والسبكي^(٣) ، وابن قاضي شهبه^(٤) ، ورضا كحالة^(٥) .
وقد أفاد فيه نصر من مؤلفاته شيخه القاضي أبي الطيب الطبري ،
أحد كبار فقهاء الشافعية في عصره ، وركن من أركان المذهب ،
وينقل كثيرا من كتبه ، بل ذكر النووي أن كتابه هذا على هيئة تعليق
القاضي أبي الطيب الطبري حذا حذوه وينقل منه كثيرا^(٦) .
وقد وهم إسماعيل باشا البغدادي فجعله كتابين ، الأول منهما باسم
« كتاب الانتخاب » والآخر باسم « الانتخاب الدمشقي » وأوردهما
مرتين في إيضاح المكنون وعزاها للمؤلف نصر^(٧) .
والظاهر أنه كتاب واحد كما ذكره النووي والذهبي والسبكي .
وتوجد منه عدد كبير من النصوص في كتب النووي « كالمجموع »
و « روضة الطالبين » فكثيرا ما يقول : قال الشيخ أبو الفتح نصر

(١) تهذيب الأسماء واللغات (١٢٩/٢) .

(٢) سير أعلام النبلاء (١٤٠/١٩) .

(٣) طبقات الشافعية (٢٨/٤) .

(٤) طبقات الشافعية (٢٧٦/١) .

(٥) معجم المؤلفين (٨٧/١٣) .

(٦) تهذيب الأسماء واللغات (١٢٦/٢) ، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبه (٢٧٦/١) .

(٧) إيضاح المكنون (١٢٩/١ ، ٢٧٤/٢) .

المقدسي في كتابيه « التهذيب ، والانتخاب »^(١) أو يقول : وبه قطع الشيخ أبو الفتح نصر المقدسي في كتاب الانتخاب^(٢) .
 ٣ - كتاب الكافي :

ذكره النووي في « تهذيب الأسماء واللغات »^(٣) ، والذهبي في « سير أعلام النبلاء »^(٤) وابن قاضي شعبة في « طبقات الشافعية »^(٥) والزركلي في « الأعلام »^(٦) ورضا كحالة في « معجم المؤلفين »^(٧) .

وهو كتاب في الفقه الشافعي يحذو المؤلف فيه حذو شيخه أبي الفتح سليم بن أيوب الرازي في كتابه « الكفاية » ولا يذكر فيه قولين ولا وجهين ، بل يخرج بالراجح عنده وفيه نفائس . قاله النووي في « تهذيب الأسماء واللغات »^(٨) .

ويقع الكتاب في مجلد متوسط كما صرح به كل من النووي والذهبي والزركلي ورضا كحالة ، وذكر ابن قاضي شعبة^(٩) أنه قريب

(١) وعلى سبيل المثال : (١٥٤/١ ، ٢٨٠ ، ٣٨٦ ، ٥٥٦) .

(٢) انظر : (٣٧٧/١ ، ٣٨٥ ، ٤٢٢ ، ٤٢٨ ، ٥٥٦) .

(٣) تهذيب الأسماء واللغات (١٢٦/٢) .

(٤) سير أعلام النبلاء (١٤٠/١٩) .

(٥) طبقات الشافعية (٢٧٥/١) .

(٦) الأعلام (٢٠/٨) .

(٧) معجم المؤلفين (٨٧/١٣) .

(٨) تهذيب الأسماء واللغات (١٢٦/٢) .

(٩) طبقات الشافعية (٢٧٥/١) .

من حجم « التنبيه » ولكن خالفهم إسماعيل باشا البغدادي في « هدية العارفين » فقال : « إنه كتاب في الفروع في بضعة عشر مجلدا » (١) .
وبعد أن أكد النووي أنه مجلد متوسط في المذهب ، ثم اقتبس منه اقتباسا غير يسير في كتاب المجموع له (٢) ، وأعطى فكرة عن منهجه ومحتواه ، وتبعه فيه الذهبي (٣) ، يمكن لنا القول أن البغدادي غلط فيما قاله ، والله أعلم .

٤ - شرح الإشارة :

ذكره السبكي في « طبقات الشافعية » (٤) ، وابن قاضي شعبة في « طبقات الشافعية » (٥) ، ومجير الدين الحنبلي في « الإنس الجليل » (٦) وابن العماد في « شذرات الذهب » (٧) ، وحاجي خليفة في « كشف الظنون » (٨) ، وإسماعيل باشا البغدادي في « هدية العارفين » (٩) .
وهو شرح متوسط نفيس على مختصر شيخه سليم بن أيوب الرازي ،

(١) هدية العارفين (٤٩١/٢) .

(٢) المجموع (١٨٠/١ ، ١٨٥ ، ٣١٢ ، ٥٥٦) .

(٣) سير أعلام النبلاء (١٤٠/١٩) .

(٤) طبقات الشافعية (٢٨/٤) .

(٥) طبقات الشافعية (٢٧٥/١) .

(٦) الإنس الجليل (٢٩٨/١) .

(٧) شذرات الذهب (٣٩٦/٣) .

(٨) كشف الظنون (٩٨) .

(٩) هدية العارفين (٤٩١/٢) .

سماه « الإشارة » قاله مجير الدين الحنبلي وتبعه فيه ابن العماد .

٥ - كتاب المقصود :

قال الأسنوي في « طبقات الشافعية » عند ذكر مؤلفات نصر « ووقع لي من مصنفاته » ثم أورد ضمنها هذا الكتاب (١) .

وصرح ابن قاضي شهبة في « طبقات الشافعية » بأنه في جزئين متوسطين قليل الوجود (٢) .

وذكره ابن العماد في « شذرات الذهب » ضمن مؤلفات نصر ، قال : وهو أحكام مجردة (٣) ، وأكد إسماعيل باشا البغدادي في « هدية العارفين » أنه كتاب في الفروع الشافعية (٤) .

٦ - كتاب التقريب :

ذكره ابن قاضي شهبة في « طبقات الشافعية » (٥) ومجير الدين الحنبلي في « الإنس الجليل » (٦) ، وابن العماد في « شذرات الذهب » (٧) ، والزركلي في « الأعلام » (٨) .

(١) طبقات الشافعية (٣٩٠/٢) .

(٢) طبقات الشافعية (٢٧٥/١) .

(٣) شذرات الذهب (٣٩٦/٣) .

(٤) هدية العارفين (٤٩١/٢) .

(٥) طبقات الشافعية (٢٧٥/١) .

(٦) الإنس الجليل (٢٩٨/١) .

(٧) شذرات الذهب (٣٩٦/٣) .

(٨) الأعلام (٢٠/٨) .

وهو في حكم المفقود كأكثر مؤلفاته ، ويظهر من النصوص المقتبسة منه أنه كتاب في الأحكام الفقهية ، وقد ذكر ابن قاضي شهبة في « طبقات الشافعية » أنه قريب من حجم « روضة الطالبين » للنووي (١) .

ويوجد بعض النصوص المقتبسة من الكتاب في « روضة الطالبين » .
٧ - كتاب الفصول :

ذكره مجير الدين الحنبلي في « الإنس الجليل » (٢) ، والزركلي في « الأعلام » (٣) . ولكنهما لم يذكرهما عن محتوياته شيئاً .
٨ - تحريم نكاح المتعة :

ذكره رضا كحالة في « معجم المؤلفين » (٤) وهو كتاب نفيس في موضوعه فريد في بابه ، وقد جمع فيه المؤلف رحمته الله الأدلة النقلية والعقلية الدالة على تحريم نكاح المتعة ، وأنها منسوخة إلى يوم القيامة ، وذكر إجماع الصحابة والتابعين على تحريمها ، كما سرد أدلة المخالفين من الرافضة ، ثم رد عليها رداً علمياً .
والكتاب مكوّن من جزئين ، فالجزء الأول منه مفقود إذ لم يذكر أحد مكان وجوده ، وأما الجزء الثاني منه فتوجد له نسخة خطية في

(١) طبقات الشافعية (١/٢٧٥) .

(٢) الإنس الجليل (١/٢٩٨) .

(٣) الأعلام (٨/٢٠) .

(٤) معجم المؤلفين (١٣/٨٧) .

المكتبة الظاهرية بدمشق في مجموع رقمه (٤٠) (١) ، ومنه نسخة مصورة في مكتبة الجامعة الإسلامية ، تبلغ أوراقها أربع وعشرين ورقة ذات جهتين ، وعليها عدة سماعات .

وناسخ النسخة هو علي بن أحمد الأنصاري ، وجاء على غلاف المخطوطة : « تحريم نكاح المتعة » للإمام الزاهد أبي الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي .

وقد طبع هذا الجزء المذكور بتحقيق شيخنا العلامة حماد بن محمد الأنصاري حفظه الله ورعاه (٢) .

٩ - كتاب الحث على قضاء الحوائج :

وصل الكتاب إلى الحافظ ابن حجر العسقلاني من رواية أبي الفتح نصر الله بن محمد بن عبد القوي المصيبي تلميذ المؤلف ، فقال في « المعجم المفهرس » : « قرأته على أبي العباس أحمد بن الحسن السويداوي بسماعه له ، على البدر محمد بن أحمد بن خالد أنا عبد الله ابن أحمد بن فارس أنا أبو القاسم عبد الصمد بن محمد الحرستاني ، أنا أبو الفتح نصر الله بن محمد بن عبد القوي المصيبي به » (٣) .

١٠ - كتاب الحجّة على تارك المحجة :

وهو كتابنا هذا وسيأتي الكلام عليه في فصل مستقل .

(١) فهرس الظاهرية للألباني (٤٢٥) .

(٢) طبع في مطبعة دار طيبة للنشر والتوزيع بالرياض دون ذكر سنة .

(٣) المعجم المفهرس (١٥٩/١ - ١٦٠) .

١١ - مناقب الإمام الشافعي :

لم يذكره سوى إسماعيل باشا البغدادي في « هدية العارفين » (١) .
 قد ألف جماعة من العلماء كتباً في « مناقب الشافعي » قبل
 المؤلف رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كآبي يحيى زكريا بن يحيى الساجي (٢) (ت ٣٠٧هـ)
 وعبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (٣) (ت ٣٢٧هـ) ، وأبي
 عبد الله الحاكم النيسابوري (٤) (ت ٤٠٥هـ) ، وأبي محمد عبد
 الغني ابن سعيد الأزدي (٥) (ت ٤٠٩هـ) ، وأبي عبد الله محمد بن
 سلامة بن جعفر القضاعي (٦) (ت ٤٥٤هـ) ، وأبي بكر أحمد بن
 الحسين البيهقي (٧) (ت ٤٥٨هـ) ، وأبي محمد إسماعيل بن
 الحافظ أبي إسحاق الهروي (٨) (ت ٤٨١هـ) ، وأبي محمد
 عبد الله بن يوسف الجرجاني (٩) (ت ٤٨٩هـ) .
 كما صنف الخطيب البغدادي شيخ المؤلف وتلميذه كتاباً في مناقب

(١) هدية العارفين (٢/٤٩١) .

(٢) تهذيب التهذيب (٩/٢٩) .

(٣) طبع في مصر .

(٤) طبقات الشافعية للسبكي (٣/٢١٩) ، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (١/١١٦) .

(٥) أسماء الكتب المتمم لكشف الظنون (١١) .

(٦) المصدر المذكور (١١) .

(٧) طبع في مجلدين بتحقيق السيد أحمد صقر بالقاهرة سنة ١٣٩١هـ .

(٨) سير أعلام النبلاء (١٧/٣٧٩) .

(٩) تذكرة الحفاظ (٤/١٢٢٧) .

الشافعي ، وهو مفقود ولكن إيراد المؤلف رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بعض النصوص المتعلقة بهذا الموضوع في كتابنا هذا « الحجة على تارك المحجة » يدل على أنه استفاد من شيخه الخطيب في جمع المادة العلمية لهذا الكتاب ، ولعدم وجود الكتاب لا يمكن لنا الحكم على منهجه الذي اختاره في تأليف هذا الكتاب .

١٢ - جزء في فضائل مالك :

ذكر الحافظ ابن حجر في « المعجم المفهرس » فقال : قرأته على فاطمة بن محمد عن إسماعيل بن يوسف بن مكتوم أنا المكرم بن محمد بن أبي الصقر أنا حمزة بن أحمد بن كروس أنا الفقيه نصر المقدسي به (١) .

١٣ - كتاب الأربعين :

قام جماعة من المحدثين بتأليف كتب بهذا الاسم اعتمادا على ما ورد من الأحاديث التي جاء فيها « من حفظ على أمتي أربعين حديثا مما ينفعها الله به في دينها بعثه الله يوم القيامة فقيها عالما » (٢) . وفي رواية : « من روى عني أربعين حديثا من السنة حشر يوم القيامة في زمرة الأنبياء عليهم السلام » (٣) .

ولكن اختلفت مناهجهم وتنوعت أساليبهم في اختيار المادة وطرق

(١) المعجم المفهرس (٥٥٥/١) .

(٢) يأتي تخريجه برقم (٤٣٣) .

(٣) انظر تخريجه برقم (٦١٣) .

عرضها ، فمنهم من اهتم بجمع الروايات الواردة عن أربعين شيخا له ، ومنهم من روى مسموعاته في أربعين بلدا ، ومنهم من جمع أربعين حديثا تتعلق بمختلف المواضيع من العبادات والمعاملات والأحكام والمسائل .

فألف كل من : أبي عبد الرحمن عبد الله بن المبارك المروزي (ت ١٨١هـ) ، وأبي الحسن محمد بن أسلم الطوسي الكندي (ت ٢٤٢هـ) ، وأحمد بن حرب الزاهد النيسابوري (ت ٢٣٤هـ) وإبراهيم بن علي الذهلي (ت ٢٩٣هـ) ، وأبي العباس حسن بن سفيان الفسوي (ت ٣٠٣هـ) ، وأبي العباس محمد بن إسحاق السراج (ت ٣١٣هـ) ، وأبي بكر محمد بن الحسين الآجري (ت ٣٦٠هـ) ، وأبي الحسن علي بن عمر الدارقطني (ت ٣٨٥هـ) ، وأبي بكر محمد بن عبد الله الجوزقي النيسابوري (ت ٣٨٨هـ) ، وأبي بكر محمد ابن إبراهيم المقرئ (ت ٣٨١هـ) ، وأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥هـ) ، وأبي الحسن محمد بن عبد الله بن شبرمة ، وأبي عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي (ت ٤١٢هـ) ، وأبي بكر أحمد بن محمد بن غالب البرقاني (ت ٤٢٥هـ) ، وأبي نصر محمد بن علي بن عبد الله بن أحمد الودعاني ، وأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ) ، وأبي سعد أحمد بن إبراهيم النيسابوري ، وأبي عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد الصابوني (ت ٤٤٤هـ) ، وأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي

(ت ٤٥٨هـ) ، وغيرهم كتبوا باسم الأربعين (١) .
وتأسيا بمن سلفه من العلماء والمحدثين ، قام المؤلف نصر بتأليف
كتاب الأربعين ، وحذا فيه حذو المحدثين الذين جمعوا الأحاديث
المتعلقة بالأحكام ، والتزم بالحكم على الروايات الواردة فيه من
حيث الصحة والضعف .

ووصفه أبو علي البكري بقوله : « جمع هذه الأربعين في أربعين بابا
من أبواب الفقه » (٢) .

فالحديث الأول الذي افتتح به كتابه حديث عمر : « إنما الأعمال
بالنيات » ثم قال عقب تخريجه : « هذا حديث صحيح متفق على
صحته من حديث أبي سعيد يحيى بن سعيد الأنصاري أخرجه
البخاري عن الحميدي هذا ، وأخرجه مسلم عن غير واحد عن سفيان
ابن عيينة ، وقع إلينا عاليا فكان شيخنا أنبأنا عن رجل عن مسلم » .
والحديث الثاني هو حديث أنس بن مالك : « طلب العلم فريضة
على كل مسلم . . . إلخ » .

قال : « هذا حديث حسن المتن غريب الإسناد من حديث محمد

(١) ذكرها كل من النووي في « الأربعين » (٢) ، والذهبي في « ميزان الاعتدال » (٤٩٢/١) ،
والحافظ ابن حجر في « المعجم المفهرس » (١٧/٢ - ١٨) ، والسيوطي في « طبقات الحفاظ »
(٧٦ ، ٣٠٥ ، ٣٧٨ ، ٣٨٨ ، ٤٤١) ، وحاجي خليفة في « كشف الظنون » (٥٨/١) ،
وإسماعيل باشا البغدادي في « هدية العارفين » (٧٨/٢) ، والكتاني في « الرسالة المستطرفة »
(٧٦) ، ورضا كحالة في « معجم المؤلفين » (٥٢/٩) .

(٢) كتاب الأربعين (٦٧) .

ابن سيرين أبي بكر عن أنس بن مالك ، وغريب في حديث كثير بن شنظير - بكسر المعجمتين وسكون النون - تفرد به عنه جعفر بن سليمان الضبعي ، وهو من الثقات .

وأما الحديث السابع فهو حديث أبي هريرة : « لن ينجي أحدا منكم عمله قالوا : ولا أنت يا رسول الله . . . إلخ » .

فقال عقبه : « هذا حديث غريب من حديث عبد الرحمن بن أبي عمرة ، عن أبي هريرة عبد الرحمن بن صخر الدوسي ، مع اختلاف في اسمه ونسبه ، وغريب من حديث هلال بن علي ويقال : ابن أبي ميمونة ، وقد خرج البخاري ومسلم غير حديث هذه الترجمة في كتابيهما - رحمة الله عليهما - فهو ملحق برسميهما ، لأنه صحيح على شرطهما ، والحديث مخرج بغير هذا الطريق من طريق آخر . ومحمد بن سنان العوفي ، شيخ البخاري ، والعوقة محلة بالبصرة لقبيلة من العرب نزلها فنسب إليها ، وليس من المحدثين من ينسب إلى العوقة إلا محمد ابن سنان هذا ، وأبو نضرة منذر بن مالك بن قصعة صاحب أبي سعيد الخدري ، والباقي بالفاء العوفي وهم جماعة .

وأما الحديث الخامس والعشرون فهو حديث عبد الله بن عباس في فضائل صلاة العشاء والفجر : « من أخلص لله عز وجل أربعين صباحا . . . إلخ » .

قال : « هذا حديث غريب من حديث أبي القاسم مقسم بن يحيى عن أبي العباس عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، وكنية سهل بن

سعد أيضا أبو العباس ، وليس في الصحابة من كنيته أبو العباس غيرهما ، تفرد بهذا الحديث سوار بن مصعب الهمداني ويقال : سوار الأعمش تركوه .

وأما الحديث السابع والثلاثون : فحديث عبد الله بن عمر : « من أعان مسلما بكلمة أو مشى معه خطوة حشره الله يوم القيامة وأعطاه أجر سبعين شهيدا » .

قال : « هذا حديث غريب المتن والإسناد من حديث أبي عمرو عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي ، وأوزاع قرية بدمشق ، اجتمع إليها الناس من كل قبيلة ، تفرد به عنه معاوية بن يحيى الصدفي ، وكان على بيت المال بالري ، وليس بذاك القوي » .

وهذا الكتاب قد اطلع عليه الذهبي حيث اقتبس منه « ميزان الاعتدال » ^(١) وفي « سير أعلام النبلاء » ^(٢) كما وصل الكتاب إلى الحافظ ابن حجر رواية عن شيوخه كما ذكر في « المعجم المفهرس » ^(٣) .

وأورده حاجي خليفة في « كشف الظنون » ^(٤) وإسماعيل باشا البغدادي في « هدية العارفين » ^(٥) .

(١) ميزان الاعتدال (٣٥٠/٤) .

(٢) سير أعلام النبلاء (١٤١/١٩) .

(٣) المعجم المفهرس (١٧/٢) .

(٤) كشف الظنون (٥٨) .

(٥) هدية العارفين (٤٩١/٢) .

وتوجد له نسخة خطية في المكتبة الظاهرية بدمشق في مجموع
يحمل رقم (٧٠ ، ق ٤٢ - ٦٥) كما جاء في فهرس الألباني (١) .
ومنه نسخة مصورة في مكتبة الجامعة الإسلامية برقم (٧٨٠) ،
وجاء على غلاف المخطوطة : أربعون حديثا للشيخ الفقيه الإمام
الزاهد أبي الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي .

رواية الشيخ أبي يعلى حمزة بن أحمد بن كروس السلمي عنه .
رواية أبي المعالي أحمد بن الخضر .
نسخه : محمد بن علي بن محمد بن أحمد الحمودي ، رابع من
شهر شوال سنة ثلاث وعشرين وستمائة بجامع دمشق .
١٤ - المصباح الداعي إلى الفلاح :

كتاب في الحديث ذكره ابن خير الأشيبلي في فهرسته وقال : ثني به
الفقيه المشاور أبو القاسم عبد الرحمن بن أحمد بن رضا ، والفقيه
المشاور أبو القاسم محمد بن عبد الملك بن إسماعيل الصدفي
قالا : أخبرنا به الشيخ المقرئ أبو الحسن علي بن خلف بن ذي النون
العبسي ، قال : سمعته من مؤلفه أبي الفتح بيت المقدس .
وحدثني به أيضا الفقيه القاضي أبو بكر بن العربي شيخنا عن أبي
الفتح مؤلفه روايته عنه بلفظه (٢) .

١٥ - الأمالي الحادي والعشرون بعد المائة :

توجد له نسخة خطية في دار الكتب الظاهرية بدمشق في مجموع

(١) فهرس الظاهرية (٤٢٥) .

(٢) فهرسة ما رواه عن شيوخه (١٥٩) .

رقمه (٩٤) (١) ومنه نسخة مصورة في مكتبة الجامعة الإسلامية تحمل رقم (١٠١٤) ، وهذه النسخة لا تتجاوز ست ورقات روى فيها المؤلف سبعة أحاديث وبعض الآثار تتعلق بالأداب .
 وجاء على غلاف المخطوطة : المجلس الحادي والعشرون بعد المائة من أمالي أبي الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي ، رواية الفقيه أبي الفتح نصر الله بن محمد بن عبد القوي المصيبي عنه .
 رواية الوزير أبي المعالي أسعد بن حمزة التميمي عنه .
 رواية الرئيس أبي الحسن علي بن محمد بن سعيد بن حمزة التميمي عنه .

سماعا لولده يحيى بن علي بن محمد التميمي عفا الله عنه .
 وفي أوله : أخبرنا والذي الأمين العدل الرضى علاء الدين أبو الحسن علي بن محمد بن سعيد بن حمزة التميمي قراءة عليه وأنا أسمع في رجب سنة اثنتين وثلاثين وستمائة بمنزله بدمشق ، قال : نا عمي الرئيس الأجل الوزير مؤيد الدين أبو المعالي أسعد بن حمزة التميمي قراءة عليه ونحن نسمع في خامس ربيع الأول سنة خمس وتسعين وخمسمائة ، قال : أخبرنا الإمام أبو الفتح نصر الله بن محمد بن عبد القوي المصيبي قراءة عليه ونحن نسمع في رجب سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة بالزاوية الغربية من جامع دمشق ، قال : أخبرنا الإمام الزاهد أبو الفتح نصر بن إبراهيم بن نصر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قراءة عليه

(١) فهرس الظاهرية (٤٢٦) .

وأنا أسمع في العشر الأول من صفر سنة أربعين وأربعمائة .
 وناسخ النسخة : هو إسماعيل بن إبراهيم بن مسلم عشية الجمعة
 رابع عشر خلت من شهر رجب سنة ثمان وخمسين وستمائة .
 ١٦ - مجلس من أمالي الفقيه نصر بن إبراهيم المقدسي الزاهد :
 رواية الفقيه أبي الفتح نصر الله المصيصي :
 رواية الرئيس أبي المعالي أسعد بن حمزة التميمي وأبي الحسين
 أحمد بن رافع الغنوي .

كذا جاء على غلاف النسخة ، وتوجد له نسخة خطية في مكتبة
 الظاهرية بدمشق في مجموع رقمه (٩٤)^(١) ، ومنه نسخة مصورة في
 مكتبة الجامعة الإسلامية برقم (٩٥٦) ، ويقع في أربع ورقات يحتوي
 على ستة أحاديث في الوعظ والنصائح ، وعليه سماعات عديدة ،
 وناسخه خالد بن يوسف بن سعد النابلسي في رمضان سنة تسع عشرة
 وستمائة .

١٧ - مجلس آخر من أماليه :

توجد له نسخة خطية في دار الكتب الظاهرية بدمشق في مجموع
 رقمه (١٠٧)^(٢) ، ومنه نسخة مصورة في مكتبة الجامعة الإسلامية
 برقم (٩٦٩) .

وجاء على غلاف النسخة : جزء فيه مجلس من أمالي الفقيه أبي

(١) فهرس الظاهرية (٤٢٥) .

(٢) فهرس الظاهرية (٤٢٤) .

الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي الزاهد .
 رواية أبي الحسن علي بن عساكر بن سرور المقدسي الخشاب عنه .
 رواية أبي القاسم الحسين بن هبة الله بن محفوظ عنه .
 سماع منه لعبد العزيز بن عثمان بن أبي طاهر الأرملي وابن أخيه
 عمر .
 رواية أبي العباس أحمد بن عبد الرحمن بن عبد المؤمن عنه كتابة .
 سماع مالكة إسماعيل بن إبراهيم ولابنته زينب منه .
 سمع هذا الجزء على الشيخ محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بسماعه من
 عمر بن يعقوب محمد بن عبد الله بن أحمد وهذا خطه : يوم الجمعة
 التاسع عشر من رجب سنة خمس وأربعين وسبعمائة بجامع دمشق .
 ويقع هذا الجزء في سبع ورقات يشمل خمسة عشر حديثا في
 فضائل الصوم وأحكام الفطر .

١٨- المجلس التاسع والأربعون بعد المائتين من أماليه :

ذكره الحافظ ابن حجر في « المعجم المفهرس » ورواه عن أبي
 هريرة بن الذهبي ، أنبأنا القاسم بن مظفر بن عساكر سماعا قال :
 قرئ على كريمة بنت عبد الوهاب وأنا حاضر بسماعها ، عن حسان
 بن إبراهيم نا الفقيه أبو الفتح نصر المقدسي (١) .

١٩ - جزء من حديثه :

جزء من حديث الفقيه الإمام العالم الزاهد أبي الفتح نصر بن إبراهيم

(١) المعجم المفهرس (٢/٥٨٠) .

بن نصر المقدسي رواية أبي يعلى حمزة بن أحمد بن فارس السلمي عنه .

رواية الشيخ الأمين أحمد بن حمزة بن علي السلمي عنه .
 رواية الشيخ زين الدين أبي العباس أحمد بن عبد الدائم ، وأبي عبد الله محمد بن عبد الهادي يوسف بن محمد بن قدامة المقدسي عنه .
 سماع منهما لعبد الحافظ بن عبد المنعم المقدسي .
 هكذا جاء على غلاف النسخة الخطية الموجودة في دار الكتب الظاهرية برقم (١١٠) (١) ، ومنه نسخة مصورة في مكتبة الجامعة الإسلامية ، برقم (١٥٧٣) .

ويقع الجزء في ثمان ورقات وفيه ثمانية عشر حديثا في فضل العلم .
 وناسخه محمد بن عبد الهادي بن يوسف بن محمد بن قدامة المقدسي ، كتبه في يوم الاثنين السابع من شهر صفر سنة ست وعشرين وسبعمائة .

وقد وصل هذا الجزء إلى الحافظ بن حجر فقال في « المعجم المفهرس » أخبرني به أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد بن عبيد الله بن أحمد بن عمر فيما قرأت عليه ، أنا محمد بن أحمد بن تمام ، وأبو بكر محمد بن الرضي ، وأحمد بن الشجاع ، وأحمد بن علي الجزري ، ومحمد بن أبي بكر بن طرخان ، أنا ابن عبد الدائم قال : أخبرنا محمد بن إسماعيل خطيب مرو ، قال ابن الجزري

(١) فهرس الظاهرية (٤٢٥) .

وابن الرضي حضورا وزاد ابن الفرضي ومحمد بن عبد الهادي حضورا قال : أخبرنا أبو الحسين أحمد بن حمزة بن علي الموازني السلمي ، أنا أبو يعلى حمزة بن أحمد بن فارس ، أنا الشيخ أبو الفتح نصر بن إبراهيم به (١) .

٢٠ - المجلس الحادي والتسعون بعد الثلاثمائة :

قال الحافظ ابن حجر في « المعجم المفهرس » أخبرنا أبو هريرة بن الذهبي إجازة ، أنبأنا القاسم بن مظفر بن عساكر سماعا قال : قرئ على كريمة بنت عبد الوهاب وأنا حاضر بسماعها ، عن حسان بن إبراهيم نا الفقيه أبو الفتح نصر به (٢) .

٢١ - المجلس السابع والأربعون بعد الثلاثمائة :

ذكره الألباني في « الفهرس الظاهرية » وهو في مجموع رقمه (١٣) .
ق ٩٤ - ٩٨ (٣) .

٢٢ - أربعة أحاديث من أماليه :

كذا ذكره الألباني في « الفهرس المذكور » وهو في مجموع برقم (١١٠) ق ٢٥٤ - ٢٦٢ (٤) .

٢٣ - الأربعون من أماليه :

ذكره الألباني في « فهرس الظاهرية » وذكر أنه في مجموع

(١) المعجم المفهرس (١/١٢٨) .

(٢) المعجم المفهرس (٢/٥٨٠) .

(٣) فهرس الظاهرية (٤٢٥) .

(٤) المصدر السابق (٤٢٥) .

رقمه (٦٧) (١) .

قلت : لم أتمكن من الاطلاع عليه لعدم وجود مجموع بهذا الرقم في مكتبة الجامعة الإسلامية ضمن المخطوطات المصورة من دار الكتب الظاهرية بدمشق .

ولولا اختلاف رقمه عن الرقم الموجود على كتاب الأربعين له ، لاحتمل أن يكون كتاب الأربعين .

٢٤ - كتاب في نسب النبي ﷺ وقرابته :

ذكره بروكلمان في « تاريخ الأدب العربي » (٢) وذكر أن له نسخة في المكتبة العامة في الجزائر برقم (١٨٠٣) .

٢٥ - كتاب في جمع طرق حديث قبض العلم :

ذكره الكتاني في « الرسالة المستطرفة » (٣) .

* * *

وبعد أن أعطينا فكرة مفصلة وشاملة عن بعض جوانبه الثقافية ، لا بد من التنويه أن ثقافته ﷺ لم تقتصر في المجالات العلمية السابقة ، أو الفنون المذكورة التي تقدم ذكرها ، بل حوت وشملت فنونا أخرى متعددة .

فقد ظهر لي من خلال استعراض كتاب الأربعين له أن حظه من علم

(١) المرجع السابق (٤٢٥) .

(٢) تاريخ الأدب العربي (١٧٩/٦) .

(٣) الرسالة المستطرفة (٨٣) .

المؤتلف والمختلف أيضا كبير جدا .
فإن من لم يكن له نصيب وافر منه ، لا يمكن له أن يصدر أحكاما لها صلة بهذا العلم .

وأكتفي بذكر بعض الأمثلة من الكتاب المذكور لتبرهن على ما قلت :
فقال عقب حديث سعد بن أبي وقاص : « من قال حين يسمع المؤذن أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، رضيت بالله ربا . . . إلخ » .

قال : هذا حديث صحيح صحفوه من حديث أبي الحارث الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي إمام مصر في وقته ، عن الحكيم بن عبد الله بن قيس بن مخرمة - وحكيم - بضم الحاء ، وكذلك حكيم ابن محمد بن قيس بن مخرمة ، ورزيق بن حكيم ، وعبد الله بن حكيم هو أبوبكر الداهري ، وحكيم ابن سعد أبو التحيا - بالتاء - والباقون بفتح الحاء كثير .

أخرجه مسلم وحده عن محمد بن ربح وقتيبة بن سعيد عن الليث عن يزيد بن أبي حبيب بالحديث وقع إلينا عاليا من حديث عيسى بن حماد وقد حدث عنه مسلم فكان شيخنا أخبرنا عن رجل عن مسلم (١) .

قال عقب حديث أنس : « صلاة الرجل في بيته بصلاة ، وصلاته في مسجد القبائل بخمس وعشرين . . . إلخ » .

قال : هذا حديث غريب ما رواه عن أنس بن مالك إلا رزيق ، هذا

(١) كتاب الأربعين (٨) .

الراء غير منقوطة قبل الزاي منقوطة وأيضا رزيق مولى لعمرو ، ورزيق ابن حيان ، ورزيق بن كريم ، ورزيق بن حكيم ، وهشيم بن رزيق المالكي ، ومحمد بن رزيق بن جامع ، وعبد الله بن رزيق البصري وهو ابن أبي جزء ، ورزيق بن الورد ، وأحمد بن عبد الله بن رزيق البغدادي جد شيخنا أبي الحسين محمد بن مكّي من قبل أمه ، كلها مشتق من الرزق بالراء قبل الزاي ، وما بقي من الرجال فهو بالزاي قبل الراء إلا أنه مختلف في رزيق بن شعيب .

تفرد في هذا الحديث عن رزيق أبو الخطاب الدمشقي ، وعنه هشام ابن عمار ومخرجه من دمشق (١) .

وقال عقب حديث أبي الدرداء : « فرغ الله إلى كل عبد من خمس : من رزقه وأجله . . . إلخ » .

هذا حديث غريب من حديث أم الدرداء عن أبي الدرداء عويمر ، وغريب من حديث يونس بن ميسرة بن حلبس - بمهملتين في طرفيه وموحدة - وله أخ يقال له : أيوب من أهل دمشق . وهناك آخر : يقال له : حليس بن محمد وابنه غالب ، وحليس - بضم الحاء والياء - صاحب أبي هريرة ، تفرد به عنه الوزير بن الصبح الدمشقي (٢) .

كما تظهر براعته وإمامته رضي الله عنه في باب العقيدة لمن نظر في كتابنا : « الحجة على تارك المحجة » فإنه بصفة كونه صاحب عقيدة ومؤلفا

(١) كتاب الأربعين (٢٧) .

(٢) المصدر السابق (٢٨) .

في العقيدة ، أورد فيه قسطا كبيرا من عقائد علماء السلف ، حتى غطت هذه العقائد ثلث الكتاب المذكور وسوف يأتي الكلام في فصل مستقل عند تحليل موضوع الكتاب .



الباب الثاني

في الاستيعاب الكتاب

المبحث الأول

تحقيق اسم الكتاب

إن العنوان الذي وضعه المؤلف نصر لهذا الكتاب هو : « الحجة على تارك المحجة » كما ورد في مقدمته فقد قال : « . . . سألت الله العظيم التوفيق في جمع هذا الكتاب وسميته : « الحجة على تارك المحجة » (١) .

وعلى هذا اتفقت المصادر التاريخية وكتب التراجم التي تعرضت لترجمة أبي الفتح نصر المقدسي ، أو لسرد أسماء مؤلفاته ، كما جاء في « تهذيب الأسماء واللغات » (٢) ، و« سير أعلام النبلاء » (٣) ، و« طبقات الشافعية للسبكي » (٤) ، و« طبقات الشافعية لابن قاضي شعبة » (٥) ، و« الفتح المبين » (٦) ، و« شذرات الذهب » (٧) ، و« كشف الظنون » (٨) ، و« هداية العارفين » (٩) ،

(١) المقدمة (ص ٣) .

(٢) تهذيب الأسماء واللغات (١٢٦/٢) .

(٣) سير أعلام النبلاء (١٣٧/١٩) .

(٤) طبقات الشافعية للسبكي (٢٨/٤) .

(٥) طبقات الشافعية لابن قاضي شعبة (٢٧٦/١) .

(٦) الفتح المبين (٢٧٩) .

(٧) شذرات الذهب (٣٩/٣) .

(٨) كشف الظنون (٦٣١) .

(٩) هدية العارفين (٤٩٠/٢) .

و « الرسالة المستطرفة »^(١) ، و « الأعلام »^(٢) و « معجم المؤلفين »^(٣) .
 كما نرى أن بعض العلماء الذين جاءوا بعد نصر وقاموا بالاقتباس
 من الكتاب و الاعتماد على نصوصه في مؤلفاتهم ، اتفقوا على تسميته
 بـ « الحجة على تارك المحجة » .

ومن هؤلاء العلماء : النووي في « الأربعين حديثا »^(٤) ، والذهبي
 في « العلو »^(٥) ، وابن ناصر الدين الدمشقي في « الرد الوافر »^(٦) ،
 والحافظ ابن حجر في « الإصابة »^(٧) ، وأبو حامد المقدسي في
 « الرد على الرافضة »^(٨) ، والسيوطي في « صون المنطق الكلام »^(٩)
 و « مفتاح الجنة »^(١٠) ، و « الدر المنثور »^(١١) ، و « جمع
 الجوامع »^(١٢) ، و « الخبر الدال على وجود القطب والأوتاد والنجباء

-
- (١) الرسالة المستطرفة (٣٠) .
 (٢) الأعلام (٢٠/٨) .
 (٣) معجم المؤلفين (٨٧/١٣) .
 (٤) الأربعين حديثا (١٠٧) .
 (٥) العلو للعلي الغفار (١٨٧) .
 (٦) الرد الوافر (٤) .
 (٧) الإصابة (٢٣١/٢) .
 (٨) الرد على الرافضة (٤٥٨) .
 (٩) صون المنطق والكلام (٦ ، ١٧ ، ٤٦) .
 (١٠) مفتاح الجنة (١١٤) .
 (١١) الدر المنثور (١٥٤/٢) .
 (١٢) جمع الجوامع (٢٥٢/١) .

والأبدال» (١) ، والسفارينى فى «لوامع الأنوار البهية» (٢) ،
والكتانى فى «الرسالة المستطرفة» (٣) .

وقد خالف أبو حامد المقدسى الجميع ، فذكر فى «الرد على الراضة»
أن الكتاب الذى ألفه نصر اسمه : «الحجة لطالب المحجة» (٤) .
ولكن ظهر لى أن ما جاء فى كتاب الرد على الراضة حصل خطأ من
الناسخ أو المحقق ، لأنه خلاف ما ذهب إليه الأكثرون .
ولا يبعد هذا نظرا إلى وجود التحريفات الكثيرة فى النسخة
المطبوعة من الكتاب المذكور .

ويدلنا على ذلك ما ذكره أبو حامد المقدسى فى أول الكتاب فقال :
روينا فى كتاب «الحجة على تارك المحجة» للشيخ الإمام أبى الفتح
نصر بن إبراهيم المقدسى رحمه الله تعالى (٥) : «وهذا الذى ذكره
مطابق بما قاله الآخرون» .

وأما ما جاء فى «الإنس الجليل» بأن اسم الكتاب : «الحجة لتارك
المحجة» (٦) فلا شك أن هذا تحريف إذ لا معنى له ، ويغلب على
ظنى أنه حصل خطأ فى النسخ أو الطبع .

(١) رسالة فى الخبر الدال على وجود القطب . . . ضمن كتاب الحاوي (٢/٢٥٧) .

(٢) لوامع الأنوار البهية (١/١٠٨) .

(٣) الرسالة المستطرفة (١٦٥) .

(٤) الرد على الراضة (٤٧٧) .

(٥) المرجع السابق (٤٥٨) .

(٦) الإنس الجليل (١/٢٩٨) .

توثيق نسبة الكتاب إلى المؤلف

بعد أن أثبتنا أن نصرا المقدسي ألف كتابا وسماه « الحجة على تارك المحجة » نتقل الآن إلى أن ثبت بأن هذا الكتاب الذي بين أيدينا هو مختصر الكتاب الذي ألفه نصر ، وأن المادة العلمية الموجودة في هذه النسخة من الكتاب لمؤلفه نصر ، وأما عمل مختصره فقد قام بإسقاط الأسانيد ، وحذف بعض المكررات مع الإشارة إليها في مظانها .

ونذكر بعض الشواهد والقرائن على ذلك :

أولاً :

أ - ما ذكره المختصر في مقدمته :

قال مختصره في مقدمته : « فإني وقفت على كتاب الحجة لسيدي القطب الكبير نصر المقدسي ، قدس الله سره وروحه ، ونور ضريحه وجمعني وإياه في دار كرامته ، فرأيت من أجل الكتب وأسناها ، لما تضمنه من النصيحة لعباد الله أقصاها وأدناها ، وقد حث فيه على الامتثال لكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ أركى الصلاة وأسناها ، وقد قصرت الهمم عن حفظ أسانيده بشغلها بشهواتها وديناها ، فاستخرت الله تعالى في حذف أسانيده ، مقتصرًا على مَنْ مِنْ الصحابة والتابعين رواها . . . » .

وقال في آخر الكتاب : « هذا آخر ما تيسر لي من اختصار كتاب الحجة نفعني الله تعالى به ، ونفع به كل من أراد النفع به » .

ب - مقاله المؤلف نصر في مقدمة الكتاب :

قال المختصر في نهاية مقدمته : « . . . وها أنا أذكر خطبته بحروفها لما فيها من الفوائد الباعثة للشيخ على تصنيف هذا الكتاب ، ثم ذكر الخطبة بتمامها ، وجاء فيها :

« . . . سألت الله العظيم التوفيق في جمع هذا الكتاب ، وسميته : « الحجّة على تارك المحجة » .
ثانياً :

إن بعض الآثار والأقوال الواردة في هذا الكتاب يتدئ سندها بشيوخ المؤلف نصر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فعلى سبيل المثال :

١ - أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي :

قال سمعت الإمام الحافظ أبا بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي . . . (١٠٢ ، ١٧٢) .

٢ - أبو الحسن علي بن إبراهيم بن نصرويه :

قال أبو الحسن علي بن إبراهيم بن نصرويه ، فسر الصوري - يعني - الحافظ ببغداد (٢٧٩) .

٣ - أبو عبد الله الحسين بن علي بن جعفر :

قال أبو عبد الله الحسين بن علي بن جعفر . . . (١٢٦) .

٤ - أبو محمد عبد الله بن الوليد بن سعد الأنصاري :

قال أنبأني أبو محمد عبد الله بن الوليد بن سعد الأنصاري . . . (٦٦٢) .

وقال السيوطي في «صون المنطق والكلام» : أما ابتداء دخوله في ملة الإسلام ، فقال الشيخ نصر من أئمة أصحابنا في كتاب « الحجّة

على تارك المحجة » : أنبأني أبو محمد عبد الله بن الوليد بن سعد الأنصاري . . . (١) .

ثالثاً :

لقد حظي كتاب الحججة بشهرة عظيمة من بين مؤلفات نصر ، فلا تخلو حقة من الزمن إلا أن عددا من أهل العلم يذكرون هذا الكتاب مع عزوه إلى مؤلفه ويقتبسون منه .

ونحاول هنا ذكر بعض العلماء الذي نقلوا منه ، وإيراد النصوص المقتبسة مع المراعاة الزمنية .

١ - النووي ، أبو زكريا محي الدين بن شرف (ت ٦٧٦هـ) :

قال النووي في « الأربعين » : عن أبي محمد عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به » .

حديث حسن صحيح ، رويناه في كتاب « الحججة » بإسناد صحيح (٢) . وهذا الحديث موجود في الكتاب الذي بين أيدينا ، انظر : الرقم (٢٥) .

٢ - الذهبي ، محمد بن عثمان بن قايماز (ت ٧٤٨هـ) :

قال الذهبي في « العلو » : قال الإمام الزاهد شيخ الإسلام أبو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي الشافعي في كتاب « الحججة » له - وهو

(١) صون المنطق والكلام (٦) .

(٢) الأربعين للنووي مع شرحه لابن دقيق العيد (ص : ١٠٧) .

مجلد في السنة - : « وأن الله تعالى مستوٍ على عرشه بائن من خلقه ، كما قال في كتابه » (١) .

وهذا الذي ذكره الذهبي موجود ضمن عقيدة المؤلف في الفقرة رقم (٣٧٤) .

٣ - الدمشقي ، محمد بن ناصر الدين (ت ٨٤٢هـ) :

أورد ابن ناصر الدين الدمشقي في « الرد الوافر » حديث طلحة بن نضيلة : « لا يسألني الله عز وجل عن سنة أحدثتها فيكم ، لم يأمرني الله عز وجل بها » .

قال : « أخرجه نصر المقدسي في الحجة من طريق الأوزاعي ثني أبو عبيد - حاجب سليمان بن عبد الملك - ثني القاسم بن مخيمرة ثني طلحة بن نضيلة » (٢) .

وهذا الحديث موجود في الكتاب الذي بين أيدينا ، انظر : (٧) .

٤ - الحافظ ابن حجر ، أحمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) :

كما ذكر الحديث المتقدم ذكره الحافظ ابن حجر في « الإصابة » في ترجمة طلحة بن نضيلة ، وبعد أن ذكر الخلاف في اسم ابن نضيلة قال : « أخرجه نصر المقدسي في كتاب الحجة له » (٣) .

وهذا الحديث الموجود في كتابنا هذا عند الحديث رقم (٧) .

(١) العلو للعلي الففار (١٨٧) .

(٢) الرد الوافر (٤) .

(٣) الإصابة في معرفة الصحابة (٢٣١/٢) .

٥ - أبو حامد المقدسي ، محمد بن خليل بن يوسف بن علي (ت)
: (٨٨٨هـ)

قال أبو حامد المقدسي في كتابه : « الرد على الرافضة » روينا في كتاب « الحجة على تارك المحجة » للشيخ الإمام أبي الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي » .

ثم أورد مجموعة كبيرة من الأحاديث والآثار من كتاب الحجة (١) . وكل ما أورده من الأحاديث والآثار موجودة في كتابنا هذا ، وانظر الأرقام الآتية : (١٦ ، ١٧ ، ٤٧١ ، ٤٧٢ ، ٤٧٣ ، ٤٧٤ ، ٤٧٥ ، ٤٧٦ ، ٤٧٧ ، ٤٧٨ ، ٤٧٩ ، ٤٨٠ ، ٤٨٢ ، ٤٨٥ ، ٤٩٠ ، ٤٩١ ، ٤٩٢ ، ٤٩٤ ، ٤٩٧ ، ٦٠٦ ، ٦٠٧ ، ٦٠٨ ، . . .) .

٦ - السيوطي ، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت)
: (٩١١هـ)

أما السيوطي فقد أكثر النقل من كتاب الحجة في عدد من مؤلفاته :
أ - صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام :

١ - قال في صون المنطق والكلام ما نصه : « أما ابتداء دخوله (علم الكلام) في ملة الإسلام ، فقال الشيخ نصر المقدسي من أئمة أصحابنا في كتابه : « الحجة على تارك المحجة » أنبأني أبو محمد عبيد الله بن الوليد بن سعد الأنصاري قال : سمعت أبا محمد عبد الله بن أبي زيد الفقيه المالكي بالقيروان يقول : . . . ثم ذكر الأثر

(١) الرد على الرافضة (٤٥٨ - ٤٧٨) .

بتمامه « (١) .

وهذا الأثر الطويل موجود في هذا الكتاب بنفس السند والمتن ، مع وجود فرق يسير جدا مما يكون بين نسخ الكتاب ، وقد ذكرته عند هذا الأثر . وانظر الرقم : (٦٦٢) .

٢ - وقال أيضا : « أخرج نصر المقدسي في الحجة ، وابن عساكر عن السائب بن يزيد أن رجلا قال لعمر : إني مررت برجل يسأل عن مشكل القرآن فقال عمر : اللهم أمكني منه ، فدخل الرجل يوما على عمر ، فسأله : فقام عمر فحسر عن ذراعيه وجعل يجلده ، ثم قال : ألبسوه تبانا ، وأحملوه على قتب وأبلغوا به حيه ، ثم ليقم خطيب فليقل : إن صبيغا طلب العلم فأخطأه ، فلم يزل وضيعا في قومه بعد أن كان سيدا فيهم » (٢) .

وهذا الأثر موجود في النسخة التي بين أيدينا ، انظر الرقم : (٥٢٣) .

٣ - وقال أيضا : « وأخرج نصر المقدسي في الحجة وابن عساكر عن أبي عثمان النهدي أن عمر كتب إلى أهل البصرة أن لا يجالسوا صبيغا ، قال : فلو جاء ونحن مائة لتفرقنا » (٣) .
وهذا الأثر موجود في كتابنا هذا برقم : (٥٢٧) .

(١) صون المنطق والكلام (٦) .

(٢) صون المنطق والكلام (١٧) .

(٣) المصدر السابق (١٨) .

٤ - وقال أيضا : « وأخرج نصر في الحجة وابن عساكر عن زرعة قال : رأيت صبيغ بن عسل بالبصرة كأنه بعير أجرب يجيء إلى الحلقة ويجلس وهم لا يعرفونه ، فتناديهم الحلقة الأخرى ، عزمة أمير المؤمنين عمر ، فيقومون ويدعونه » (١) .

٥ - وقال أيضا : « وأخرج الشيخ نصر المقدسي في الحجة عن أبي إسحاق أن عمر كتب إلى أبي موسى الأشعري ، أما بعد : فإن الأصبغ تكلف ما كفى ، وضيع ما ولى ، فإذا جاء كتابي هذا فلا تبايعوه ، وإن مرض فلا تعودوه ، وإن مات فلا تشهدوه » (٢) .

٦ - وقال أيضا : « وأخرج نصر في الحجة عن أبي هريرة قال : « كنا عند عمر إذا جاءه رجل يسأله عن القرآن أمخلوق هو أو غير مخلوق ؟ فقال علي : هذه كلمة وسيكون لها ثمرة ، ولو وليت من الأمر ما وليت ضربت عنقه » (٣) .

٧ - وقال أيضا : « وأخرج فيه حديث عمر الآتي من كتاب المحجة لنصر المقدسي في مجيئه بصحيفة من التوراة ، والآثار التي بعده » (٤) .

وجميع هذه الأحاديث والآثار التي أوردها السيوطي في « صون المنطق والكلام » وعزاها للمؤلف في الحجة ، موجودة في الكتاب

(١) صون المنطق والكلام (١٨) .

(٢) المصدر السابق (١٨) .

(٣) المرجع السابق (١٨) .

(٤) المصدر المذكور (٤٦) .

الذي بين أيدينا ، وانظر الأرقام : (٥٢٥ ، ٥٢٨ ، ٥٢٩ ، ٦٥٧) .

ب - الدر المثور :

أكثر السيوطي النقل من كتاب الحجة في كتابه « الدر لمثور » :
ومن نماذجه :

١ - قال : « أخرج ابن جرير ونصر المقدسي في الحجة عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « نزل القرآن على سبعة أحرف ، المرء في القرآن كفر ، ما عرفتم منه فاعملوا به وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه » (١) .

٢ - قال أيضا : « وأخرج الدارمي في « مسنده » (كذا) ، ونصر المقدسي في « الحجة » ، عن سليمان بن يسار أن رجلا يقال له صبيغ قدم المدينة فجعل يسأل عن متشابه القرآن ، فأرسل إليه عمر : وقد أعد له عراجين النخل فقال : من أنت ؟ قال : أنا عبد الله صبيغ ، فقال : وأنا عبد الله عمر ، فأخذ عمر عرجونا من تلك العراجين ، فضربه حتى دمی رأسه ، فقال : يا أمير المؤمنين حسبك . . . قد ذهب الذي كنت أجد في رأسي » (٢) .

٣ - وأخرج ابن الأنباري في المصاحف ، ونصر المقدسي في « الحجة » ، وابن عساكر ، عن السائب بن يزيد أن رجلا قال لعمر : إني مررت برجل يسأل عن تفسير مشكل القرآن ، فقال عمر : « اللهم

(١) الدر المثور (٢/١٥٠) .

(٢) الدر المثور (٢/١٥٢) .

- مكني منه » وذكر الأثر المتقدم ذكره (١) .
- ٤ - وأخرج نصر المقدسي في (الحجة) وابن عساكر عن أبي عثمان النهدي أن عمر كتب إلى أهل البصرة ، أن لا يجالسوا صبيغا ، قال : فلو جاء ونحن مائة لتفرقنا (٢) .
- ٥ - وأخرج نصر في « الحجة » وابن عساكر عن زرعة قال : رأيت صبيغ بن عساكر بالبصرة كأنه بعير أجرب . . . وذكر الأثر المتقدم ذكره (٣) .
- ٦ - وأخرج نصر في « الحجة » عن أبي إسحاق أن عمر كتب إلى أبي موسى الأشعري ، أما بعد . . . فإن الأصبغ تكلف ما يخفى . . . وذكر الأثر المتقدم ذكره (٤) .
- ٧ - وقال أيضا : « وأخرج نصر المقدسي في « الحجة » عن ابن عمرو : « أن رسول الله ﷺ خرج على أصحابه وهم يتنازعون في القرآن ، هذا ينزع بآية وهذا ينزع بآية ، فكأنما فقى في وجهه حب الرمان ، ألهذا خلقتم ؟ أو لهذا أمرتم ؟ أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض ، انظروا ما أمرتم به فاتبعوه ، وما نهيتم عنه فانتهاوا » (٥) .
- ٨ - وقال أيضا : « وأخرج نصر المقدسي في « الحجة » عن ابن

(١) المصدر السابق (١٥٣/٢) .

(٢) المصدر المذكور (١٥٣/٢) .

(٣) الدر المنثور (١٥٣/٢) .

(٤) المصدر السابق (١٥٣/٢) .

(٥) المصدر السابق (١٥٣/٢) .

عمرو قال : خرج رسول الله ﷺ من وراء حجرته وقوم يتجادلون في القرآن ، فخرج محمرة وجنتاه كأنما تقطران دما ، فقال : « يا قوم لا تجادلوا في القرآن . . . » (١) .

٩ - وقال أيضا : « وأخرج نصر في « الحجة » عن أبي هريرة قال : كنا عند عمر بن الخطاب إذ جاءه رجل يسأله عن القرآن أم مخلوق هو أو غير مخلوق » (٢) .

١٠ - وقال أيضا : « وأخرج أبو يعلى وابن المنذر وابن أبي حاتم ونصر المقدسي في « الحجة » والضياء في « المختارة » ، عن خالد ابن عرفطة قال : كنت جالسا عند عمر إذ أتاه رجل من عبد القيس فقال له عمر : . . . وذكره » (٣) .

وجميع هذه الأحاديث والآثار التي أوردها السيوطي في « الدر المنثور » ، موجودة في الكتاب الذي بين أيدينا . انظر الأرقام : (٥١٦ ، ٥١٧ ، ٥٢١ ، ٥٢٣ ، ٥٢٤ ، ٥٢٥ ، ٥٢٧ ، ٥٢٨ ، ٥٢٩ ، ٦٥٨ . . .) .

ج - جمع الجوامع :

جعل السيوطي كتاب الحجة هذا - أحد المصادر التي استخدمها في كتابه جمع الجوامع حيث أكثر في العزو إليه :

(١) المصدر المذكور (١٥٤/٢) .

(٢) المرجع السابق (١٥٤/٢) .

(٣) الدر المنثور (٤٩٧/٤) .

ومن نماذجه :

١ - عن ابن عمرو مرفوعا : « عليكم بالقرآن فإنه كلام رب العالمين ، هو منه فأمنوا بمتشابهه واعتبروا بأمثاله . . . أبهذا أمرتم وبهذا خلقتم . . . » . . . (نصر المقدسي «الحجة»)^(١) .

٢ - عن خالد بن عرفطة قال : كنت جالسا عند عمر إذ أتني برجل من عبد القيس ، وذكر الحديث المتقدم ذكره . (نصر المقدسي في «الحجة»)^(٢) .

٣ - عن عمر بن الخطاب قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله أنزل كتابا وافترض فرائض فلا تنقصوها وحد لكم حدودا فلا تنتهكوها . . . (نصر في «الحجة» وفيه أيوب بن سويد ضعيف)^(٣) .

٤ - عن ميمون بن مهران قال : أتى عمر بن الخطاب رجل فقال : يا أمير المؤمنين إنا فتحنا المدائن أصبت كتاب فيه كلام معجب . . . (نصر في «الحجة»)^(٤) .

٥ - عن عمر أنه قال : سيأتي ناس يجادلونكم بشبهات القرآن فخذوهم بالسنن ، فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله . (الدارمي ونصر المقدسي في «الحجة» وابن أبي زمنين في «أصول السنة»)^(٥) .

(١) كنز العمال (١/١٩١) .

(٢) المرجع السابق (١/٣٧١) .

(٣) كنز العمال (١/٣٧٣) .

(٤) المصدر المذكور (١/٣٧٣ - ٣٧٤) .

(٥) المرجع السابق (١/٣٧٤ - ٣٧٥) .

٦ - عن علي قال : يا أيها الناس ما لكم ترغبون عما عليه أولكم وسنة نبيكم ﷺ ، إنما هلك من كان قبلكم أن ضربوا كتاب الله بعضه ببعض . (نصر في « الحجة ») (١) .

٧ - عن أبي عثمان النهدي قال : جئت عمر بن الخطاب ذات يوم فبكى فقلت يا أمير المؤمنين ما يبكيك ؟ قال : بلغني أن نبيط أهل العراق أسلموا . . . إلخ . (نصر المقدسي في « الحجة ») (٢) .

وجميع هذه وغيرها من الأحاديث والآثار التي ذكرها السيوطي في « جمع الجوامع » موجودة في كتابنا هذا ، وانظر الأرقام : (٧١ ، ٣٩٢ ، ٥٤٠ ، ٥٥٠ ، ٦٥٤ ، ٦٥٨ ، ٦٦١ . . .) .

د - الخبر الدال على وجود القطب والأوتاد والنجباء والأبدال :

قال السيوطي : « روى الشيخ أبو الفتح نصر المقدسي في كتاب « الحجة على تارك المحجة » بسنده إلى الإمام أحمد أنه قيل له : هل لله في الأرض أبدال ؟ قال : نعم ، قيل : من هم ؟ قال : إن لم يكن أصحاب الحديث هم الأبدال فما أعرف لله أبدالاً (٣) .

وقول أحمد هذا موجود في الكتاب الذي بين أيدينا ، انظر الرقم :

(١٠٠) .

هـ - مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة :

اقتباس السيوطي من الحجة في كتابه « مفتاح الجنة » كثير جدا ،

(١) المرجع السابق (٣٨٠/١) .

(٢) المصدر المذكور (٢٦٨/١١) .

(٣) الحاوي للفتاوى (٢٥٧/٢) .

ولو قلت : أنه اعتمد في كتابه هذا على كتاب المدخل إلى السنن للبيهقي ، وكتاب السنة لأبي القاسم اللالكائي ، وكتاب الحججة - وهو كتابنا هذا - لم أكن مبالغاً في ذلك .
ومن نماذجه :

قال السيوطي : وهذه جملة متتقة من كتاب « الحججة على تارك المحججة » لشيخ نصر المقدسي .

ثم أورد جملة كبيرة جداً من الأحاديث والآثار (١) .

وجميع ما ذكرها السيوطي موجودة في كتابنا هذا . وانظر الأرقام :

(٣ ، ١٦ ، ٢٣ ، ٣٢ ، ٤٥ ، ٩٨ ، ١٠٠ ، ١٠٣ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ،
١٠٩ ، ١١٣ ، ١١٦ ، ١٧٤ ، ٢٠٣ ، ٢٥٠ ، ٤٦٦ ، ٥٦٤ ،
٦٠٠ ، ٦٠٩ ، ٦١٠ ، ٦١٢ ، ٦١٥ ، ٦٢٧ ، ٦٣٠ ، ٦٣١ ،
٦٣٢ ، ٦٣٣ ، ٦٣٤ ، ٦٣٨ ، ٦٥٥) .

٧ - السفاريني ، محمد بن أحمد الأثري الحنبلي (ت ١١٨٨ هـ) :

قال السفاريني في « لوامع الأنوار البهية » : « روى أبو الفتح نصر

المقدسي في كتابه « الحججة على تارك المحججة » بإسناده عن الربيع بن

سليمان قال : سمعت الشافعي . . . » .

ثم ذكر السفاريني جملة من الآثار الواردة في ذم الكلام وأهله عن

الإمامين محمد بن إدريس الشافعي وأحمد بن محمد بن حنبل

رحمهما الله (٢) .

(١) مفتاح الجنة (١١٤ - ١٢١) .

(٢) لوامع الأنوار البهية (١٠٨/١) .

وجميع هذه الآثار أوردها السفاريني وعزاها للمؤلف في « الحجة » موجودة في كتابنا هذا .

وأكتفي بهذا القدر من المقتبسات وهي تدل على الأمور التالية :
 ١ - توثيق نسبة الكتاب إلى المؤلف نصر ، وإثبات المادة العلمية الموجودة في هذه النسخة له .

٢ - بيان أهمية الكتاب وقيمه العلمية واستفادة العلماء منه وتلقيه بالقبول ، وتداوله فيما بينهم عبر القرون المختلفة .

٣ - صحة دعوة المختصر وصدق قوله بعدم تصرفه في الكتاب سوى إسقاط الأسانيد وحذف المكررات ، مع الإشارة إليه .

وبهذا يمكن لنا القول أن كتاب الحجة شأنه شأن الكتب الأخرى التي اعتمد عليها العلماء واستفادوا منها ، وإن هذا المختصر قد يكون مستوعبا لمادة الكتاب ، لكون النقول التي أشرت إلى أرقامها جميعها موجودة في كتابنا هذا .



المبحث الثاني

تحليل موضوع الكتاب

إن هذا الكتاب يحمل عنوان : « الحجة على تارك المحجة »
وعنوانه هذا يدل على موضوعه ، ويعني أن المؤلف يهدف إلى بيان
« ما يجب اتباعه على المسلمين من الرجوع إلى كتاب الله وسنة
رسوله ﷺ ، وإجماع الصحابة والتابعين ، والأئمة من العلماء
المتقدمين ، ومن عرف بالورع والدين ، وما يجب تجنبه وإطراحه من
البدع المحدثه والأهواء المضلة ، وترك الجدل والخصومة في الدين ،
والكلام وغير ذلك مما حذرنا من مواقعه ، وأمرنا بمجانبته ومخالفته » .
وقد رتبته على مقدمة ومائة وستة عشر بابا ، أما المقدمة فقد ذكر
فيها بعد الحمد والصلاة ، الباعث على تأليف هذا الكتاب من اشتغال
الناس بعلم الفلسفة والكلام ، وانتشار البدع والمنكرات بين أوساط
العامة فقال : « فلما ذهبت العلماء من الحكماء ، ركب كل واحد
هواه ، فابتدع ما أحب وارتضاه ، وناظر أهل الحق عليه ، ودعاهم
بجهله إليه ، وزخرف لهم القول بالباطل وزين لهم ، حتى صار ذلك
عندهم دينا ، يكفر من خالفه ، ويلعن من باينه ، وساعده على ذلك
من لا علم له من العوام ، وتوقع به الظنة والإيهام ، ووجد على ذلك
الجهال أعوانا ، ومن أعداء العلم إخوانا ، اتباع كل ناعق ، ومجيب
كل زاعق ، لا يرجعون فيه إلى دين ، ولا يعتمدون على يقين ، قد
تمثلت لهم به الرياسة ، فزادهم ذلك في الباطل نفاسة ، تزينوا بها
للعامة ، ونسوا شدائد يوم الطامة » .

ثم ذكر حديث قبض العلم وقال : « فلما رأيت ذلك قد كثر ، وزاد الأمر فيه واشتهر ، حتى قل من يتكلم بعلم أو يدين بفهم ، إلا بقايا لا يرجع الجهال إليهم ، ولا يعولون في أمورهم عليهم ، لما أوغره رؤسائهم الجهال في صدورهم ، وقرروه في نفوسهم ، رغبة في اجتماع العوام عليهم ورجوعهم إليهم ، لئلا يشف عنهم ما ألفوه من برهم ورفقهم ، واعتادوه من تعظيمهم وعزهم ، ؛ فهلكوا في نفوسهم ، وأهلكوا أتباعهم ، وتركوا ما وجب عليهم ، واتبعوا أهواءهم ، سألت الله العظيم التوفيق في جمع هذا الكتاب ، وسميته : « الحجة على تارك المحجة » .

ثم إن المؤلف قسم الكتاب إلى مباحث وأبواب ، وجعل لها عنوانا مستقلا ، أورد تحت كل باب منها ما يتعلق بترجمته من الأحاديث والآثار ، ونهج في بعض الأبواب أنه يذكر أولا الآيات القرآنية ، ثم يورد الأحاديث المرفوعة ثم يذكر الآثار ، ولكنه لم يلتزم بذلك في جميع الأبواب والمباحث ، إذ تخلو بعضها كليا من الأحاديث المرفوعة .

وعلى هذا فالكتاب ينقسم من حيث المادة العلمية الواردة فيه إلى قسمين رئيسين :

القسم الأول : قسم الأحاديث والآثار الواردة في بيان حجية الكتاب والسنة ، وإقامة الحجة على تاركهما ، والحض على الاعتصام بالكتاب والسنة ، وذم الكلام والتحذير عن البدع والأهواء والجدل والخصومات في الدين .

وهذا القسم يقع في ثلثي الكتاب ، ثلث من أوله وثلث من آخره ،
أورده فيه المؤلف ما يقارب سبعمائة حديث وأثر دون تكرار .

ويمكن تجزئته من حيث الموضوعات الواردة فيه إلى مباحث :
ولما كان موضوع الكتاب هو إقامة « الحجة على تارك المحجة »
وبيان هلاك من زاغ عنها ، استهل المؤلف كتابه بإيراد الأحاديث
والآثار التي تحض على اتباع الرسول ﷺ في جميع الأمور ، وتؤكد
أن اتباعه شرط من صحة الإيمان ، لأن الله سبحانه وتعالى قد أوجب
على جميع الأمة من قبول أوامر الرسول ونواهيه ، وبين أن كلما أمر
به النبي ﷺ أو نهى عنه فبوحى من الله عز وجل : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ
* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ ، ﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ .

وهذا الموضوع يشمل ثمانية أبواب من الكتاب (١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ،
٥ ، ٦ ، ١٦ ، ١٨) يحوي أربعة و ثلاثين حديثا وعشرة آثار .

ثم انتقل المؤلف ﷺ بعد هذا إلى موضوع مهم وهو الاعتصام
بالكتاب والسنة ، لأنهما مصدران أساسيان متلازمان ، للتشريع
الإسلامي ، ولا يمكن لمسلم يؤمن بالله ورسوله أن يفهم الشريعة
ويعمل بها إلا بالرجوع إليهما معا ، ولا غنى لمجتهد أو عالم عن
أحدهما دون الآخر ، لاستنباط المسائل الفقهية أو لفهم النصوص
الشرعية .

وإذا كان القرآن هو أساس الشريعة والمصدر الأول والأصل الأصيل
للعقائد والعبادات والمعاملات والأحكام ، أنزله الله ليكون تشريعا
عاما وشاملا ودستورا للحياة .

تعرض المؤلف بهذا الموضوع واستهل بقوله : « جماع أبواب الرجوع إلى كتاب الله والاعتصام به » فأورد من الأحاديث والآثار الدالة على الرجوع إلى كتاب الله ، ونجاة من اعتصم به وإثم من خالفه ، وتأوله برأيه وهواه ، وما يلحقه من العقوبة في دنياه وأخراه ، ثم تناول مبحثاً آخر يتعلق بالقرآن ، فعقد باباً جامعاً بعنوان : « جامع في ذكر القرآن » وذكر فيه وصية النبي ﷺ أمته بكتاب الله تعالى وفضل من تمسك بالقرآن ، وأخيراً ذكر الأحاديث الواردة في النهي عن المراء والجدال ، وأكد أن هذا لا يؤدي إلا إلى خسران فاعله . وهذا الموضوع من أهم موضوعات الكتاب إذ أورد فيه أربعة وثمانين حديثاً وأربعة وتسعين أثراً . ضمن (٣٧) باباً (٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨) .

وإذا كانت السنة المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي من حيث وجوب العمل بها ومن حيث أنها وحي منزل من الله ، وتقبلها المسلمون كما تقبلوا القرآن ، ورجعوا إليها في جميع أمورهم ، وعملوا بما فيها ، وتمسكوا بها وحافظوا عليها ، تناول المؤلف ﷺ هذا الموضوع واستهله بقوله : « باب جامع في فضل السنة والأمر باتباعها » وبين الحاجة إلى السنة لتفسير القرآن ، وأورد الأحاديث والآثار الواردة في فضل التمسك بالسنة والاثار ، وثواب من وافق

السنة وأظهرها ونشرها وعلمها عباد الله ، وهلاك من خالفها وردّها وراء ظهره .

ثم إن أصحاب الحديث هم أكثر الناس اهتماما بالسنة ، وحرصا على الاعتصام بها ، ولذا عقد المؤلف رحمته الله بابا في فضائلهم ، وبابا آخر في بيان رحلاتهم التي قاموا بها للتثبت في الأحاديث ويشمل هذا الموضوع ثمانية عشر بابا من أبواب الكتاب (٧ ، ٨ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦) .

ومجموع ما في هذه الأبواب من الأحاديث والآثار أربعة وسبعون حديثا ، وستة وخمسون أثرا .

ثم شرع المؤلف رحمته الله في ذكر فضائل الصحابة رضي الله عنهم والتمسك بسنتهم واتباع آثارهم ، لأن الصحابة هم خير الناس بعد الأنبياء والرسل ، وهم الرعيل الأول الذين رباهم رسول الله صلى الله عليه وآله فتهذبت نفوسهم ووصفت قلوبهم ، وكانوا يتسابقون للاقتداء به في أفعاله وعباداته وجميع معاملاته ، وينقادون لأوامره ونواهيه ، ويتبعونه حق الاتباع ، فكانوا أعلم الناس بأمور الشريعة ، فيجب للمسلم الرجوع إلى أقوالهم وآثارهم عند وقوع الاختلاف ، وعدم وجود النصوص من الكتاب والسنة .

وقد قال عبد الله بن مسعود : « من كان مستنا فليستن بمن قد مات ، أولئك أصحاب محمد صلى الله عليه وآله كانوا خير هذه الأمة ، أبرها قلوبا ، وأعمقها علما ، وأقلها تكلفا ، قوما اختارهم الله لصحبة نبيه صلى الله عليه وآله »

، وإقامة دينه ، فاعرفوا لهم فضلهم ، واتبعوهم في أثرهم ،
وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم ، فإنهم كانوا على
الهدى المستقيم » (١) .

وأفضل الأصحاب هم الخلفاء الأربعة بإجماع الأمة ، ولكن
للشيخين ميزة على غيرهما ، حيث أمر الرسول ﷺ باتباع سنة الخلفاء
الراشدين وأمر بالاعتداء بأبي بكر وعمر . فأفرد المؤلف بابا خاصا في
فضائلهما ، وأورد بعض الأحاديث والآثار الدالة على الاقتداء بهما ،
كقول الرسول ﷺ : « اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر » .
ثم عقد بابا في فضائل الخلفاء ، وذكر فيه بعض الأحاديث والآثار
كقول الرسول ﷺ : « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين ، عضوا
عليها بالنواجذ » .

ثم عقد بعض الأبواب وخصها بالحديث عن فضائل الصحابة
عامة ، واتباع آرائهم وأفعالهم ، وهكذا شمل هذا الموضوع خمسة
أبواب (٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠) . يحتوي على ثلاثة
وعشرين حديثا وأربعة عشر أثرا .

ثم تعرض المؤلف ﷺ لبيان الإجماع ، فذكر أنه مصدر من
مصادر التشريع ويأتي بعد الكتاب والسنة ، وبين أنه لا يجوز لعالم
إحداث قول لم يقل به أحد ، واختراع رأي لم يسبق إليه أحد ، بل
يجب عليه معرفة أقوال الأئمة وآراء العلماء ، إجماعا واختلافا ، لئلا

(١) يأتي تخريجه برقم : (١٥٤) .

يخرق الإجماع ، ويختار غير سبيل المؤمنين فيما يقوله ويذهب إليه ، قال سبحانه : ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ ۖ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء : ١١٥] . فأورد المؤلف الآيات والأحاديث والآثار الدالة على ثبوت الإجماع ومن ثم وجوب الرجوع إليه إذا حصل ذلك .

وعقد بعض الأبواب في فضل التمسك بالجماعة وأن يد الله على الجماعة ، وعقوبة تارك الجماعة ، ويشمل هذا الموضوع تسعة أبواب ، أربعة منها تتعلق بالإجماع (٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥) ، وفيها عشرة أحاديث وستة عشر أثرا ، وخمسة أبواب تتعلق بالجماعة وفضلها وعقاب تاركها (٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥) ، وفيها خمسة وعشرون حديثا وخمسة آثار .

وبعد أن تحدث المؤلف عما يجب على المسلمين من الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، دخل في موضوع مهم جدا واستهله بقوله : « جماع أبواب النهي عن الكلام والأهواء والبدع والجدل والخصومات في الدين ، وما يتشعب من ذلك مع ما تقدم بيانه ، ووجوب الرجوع إلى الكتاب والسنة والإجماع دون ما سوى ذلك » . وهذا من أطول موضوعات الكتاب وأبرزها ، مما يعطي للباحث فرصة لمعرفة أحد أسباب ترك المحجة ، الذي نتج عن مضادة العقيدة التي كان عليها أصحاب القرون الثلاثة الأولى من الصحابة والتابعين والسلف الصالحين ، لأن الفلسفة والكلام فكرة دخيلة على الإسلام ، مستوردة من بلاد الفرس والروم والهند ، استغلها بعض الحاقدين على

الإسلام ، لمحاولة تشويه معالم العقيدة السلفية .
 وكان لها أثر كبير في تقوية مذاهب الفرق المنحرفة وأهل الأهواء
 الضالة كالجهمية والقدرية والمعتزلة ، الذين بنوا أسس قواعدهم على
 الجدل والكلام ، واستعانوا في ذلك بما وجدوا من منطق اليونان
 وفلسفة الهند لتعزيز آرائهم .

لما كان الاهتمام بعلم الكلام والفلسفة قد بلغ أشده في تلك الحقبة
 من الزمن ، مما نجم عنه الابتداع والإحداث في الدين ، خص
 المؤلف قسطا كبيرا من هذا المبحث للرد والقضاء على هذه الفكرة
 الدخيلة ، وبين موقف السلف الإجماعي إزاء كل من أفرط أو قرط في
 الدين ، فذكر أقوال عمر وعلي وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن
 عمرو بن العاص وعبد الله بن عباس وأبي بن كعب ، ومجاهد
 ومكحول وإبراهيم النخعي والحسن البصري وأيوب السخيتاني
 والأوزاعي ومحمد بن الحنفية وابن سيرين ويونس بن عبيد والثوري
 وابن عيينة وغيرهم ، كما اهتم بنقل أقوال الأئمة الأربعة بهذا الصدد .
 ولما كان أصحاب التصوف هم أكثر الناس بدعا ، ولهم عادات
 ورسوم واصطلاحات اتخذوها نحلة لهم ، يسيطرون بها على عقول
 الناس وأفكارهم حتى بعدوا بهم عن هدي الكتاب والسنة ، قام
 المؤلف بإيراد أقوال آثار من رؤسائهم وكبارهم ، الدالة على اتباع
 الرسول ﷺ ، وانتهاج منهج السلف في زهدهم وإحسانهم .

وهذا الموضوع شمل ثلاثة وعشرين بابا عن أبواب الكتاب (٣٦ ،

٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ،

٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٨ ، ١١١ ،
١١٢ ، ١١٣ .

ومجموع ما فيها خمسة وثلاثون حديثا ومائة وأربعة وثلاثون أثرا .
وبعد أن بين المؤلف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مدى خطورة علم الكلام ، وما نجم عنه
من البدع والمحدثات ، وأثبت أن الكلام ليس من جملة العلم ، وأن
صاحبه لا يوصف بالعالم ، انتقل إلى إثبات أن العلم هو علم الكتاب
والسنة ، وبين الفرق بين علماء الحق وعلماء السوء ، وعقب ذلك
بإيراد جملة من أسماء أهل العلم .

وذكر ما يجب على العلماء من إظهار العلم وعدم كتمانهم عند ظهور
المبتدعة والفرق الضالة ، وذكر إثم كاتم العلم ، وما ينبغي للعلماء
بالسكوت عما لم يعلموا .

وهو المبحث الأخير من الكتاب وشمل الأبواب التالية من آخر
الكتاب (٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٧٤ ، ٨٦ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ،
٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٦) .

يتضمن أربعة وخمسين حديثا وأربعة وستين أثرا .
أما القسم الثاني : فقد تناول المؤلف فيه المسائل الاعتقادية ،
ويغلب عليه الاختصار إذا ما قارناه بالقسم الأول ، ومع هذا
الاختصار يتسم بشمول الموضوع ، وقد قرر المؤلف فيه ضرورة
الإيمان بالعقائد الصحيحة ، التي كان عليها سلفنا الصالح . فتكلم
عن صفات الباري سبحانه ، وكون القرآن كلام الله ، ورؤية الله يوم
القيامة ، واستوائه ، ونزوله سبحانه ، والإيمان والإسلام ، وعن

الأمر الغيبية ؛ كعذاب القبر ومنكر ونكير وملك الموت وخلق الجنة والنار والحوض والصراط والميزان والشفاعة وغيرها من المسائل الاعتقادية .

ثم ساق المؤلف عقيدة مفصلة لبعض أهل العلم ، كعبد الله بن المبارك وأحمد بن حنبل وأبي زرعة وأبي حاتم وبشر الحافي ومحمد ابن يحيى الذهلي .

وهذا القسم استغرق ثلث الكتاب تقريبا من وسطه ، واستهله بقوله : « إن قال قائل ذكرت ما يجب على أهل الإسلام من اتباع كتاب الله عز وجل ، وسنة رسوله ﷺ ، وما أجمع عليه الأئمة والعلماء ، ممن عرف بالعلم والدين والصدق واليقين ، وذكرت المنع من البدع وذم الكلام ، والأهواء الخارجة عن الحق والصواب ، ووجوب ترك ذلك والأخذ بما عليه أهل السنة والجماعة ، فأذكر مذاهبهم وما أجمعوا عليه من اعتقادهم ، وما يلزمنا المصير إليه من إجماعهم ، لنعلم ذلك ونصير إليه ونعتقده ونعتمد عليه .

فالجواب وبالله التوفيق . . . » . ثم ذكر أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة .



منهج المؤلف في الكتاب

ومن خلال هذا الاستعراض لموضوع الكتاب ، والتحليل الشامل له يظهر أن المؤلف رحمته الله اختار في هذا الكتاب منهج المحدثين في إيراد النصوص بالأسانيد المتصلة إلى قائلها ، واستدل بالآيات والأحاديث والآثار الواردة عن الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة الدين ، على إقامة الحجة على من ترك الكتاب والسنة ، وتبع هواه وخاض في الكلام ، فضل عن سواء السبيل ، ولذلك قال الحافظ ابن رجب عند ذكر الكتاب : « كتاب يتضمن ذكر أصول الدين على قواعد أهل الحديث والسنة » (١) .

وتبعه فيه حاجي خليفة في « كشف الظنون » (٢) .
كما وصفه الذهبي بقوله : « إنه مجلد في السنة » (٣) .
وأورد الكتاني في الرسالة المستطرفة ضمن الكتب المؤلفة في السنة (٤) .

وقد سبق أن ذكرت أن المؤلف رحمته الله كان يعد من الفقهاء المحدثين ، ولذلك نرى أن الجانب الحديثي قد أخذ قسطا كبيرا من كتابه حيث شمل هذا الجانب ثلثي الكتاب .
ويلاحظ أن المؤلف رحمته الله أكثر بشكل ملحوظ من إيراد الآثار عن

(١) جامع العلوم والحكم (٣٦٦) .

(٢) كشف الظنون (٦٣١) .

(٣) العلو للعلي الغفار (١٨٧) .

(٤) الرسالة المستطرفة (٣٠) .

الأئمة والعلماء ، مما يدل على غزارة علمه وسعة اطلاعه ، وتلك الآثار وإن لم تكن حجة في ذاتها ، لكن يمكن الاستفادة منها في فهم نصوص الكتاب والسنة عند ثبوتها عن قائلها ، وعدم تعارضها مع المفاهيم السلفية ، كما تصرح بموقف الأمة الإجماعي تجاه علم الكلام وذم أهله . ثم إنه تساهل كثيرا فيما ذكره من النصوص ، فتوجد فيها جملة لا يستهان بها من الأحاديث والآثار ، قد حكم عليها بالوضع أو الضعف الشديد .

وعلى سبيل المثال انظر الأرقام : (١٦ ، ٢٠ ، ٣٢ ، ٥٨ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٣٢ ، ١٣٤ ، ١٤٩ ، ١٧٢ ، ٢٩٦ ، ٣٧٤ ، ٤٩٥ ، ٥٥٠ ، ٥٨٠ ، ٦٠٩ ، ٦٢٢ ، ٦٢٣ ، ٦٣٦ ، ٦٣٧) .

وأورد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعض الإسرائيليات في بعض الأبواب مع وجود الأحاديث الصحيحة كما فعل في باب (٤٤) ، النهي عن اتباع الهوى وما يخاف من سوء عاقبته .

فقد أورد فيه أثر عمرو بن العاص قال : « خرج جيش من المسلمين وأنا أميرهم حتى إذا نزلنا بالإسكندرية » إلخ (٢٩٥) .

وفي باب (٤٥) إثم أصحاب الأهواء وما زين لهم الشيطان بها . أورد فيه أثر طاؤس أن عمر بن الخطاب أراد أن يسكن العراق فقال له كعب : لا تفعل فإن بها الدجال ، وبها مردة الجن ، وبها تسعة أعشار السحر ، وبها كل داء عضال يعني الأهواء (٣٠٧) .

وعن خصيف إن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام لا تجالس أهل الأهواء . . . (٣٠٢) .

وفي باب (٦٨) باب عقوبة من فعل ذلك وخالف ما أمر به .
فقد أورد فيه عن أبي عياش الشامي قال : « قال الله تعالى لأرميا بن
حلقيا : من قبل أن أخلقك اخترتك ، ومن قبل أن أصورك في الرحم
قدستك . . . » إلخ (٤٨٠) .

وفي باب (٦٩) ذكر من وافق القرآن ولم يخالفه .
أورد فيه عن واصل عن إبراهيم قال : « قالت امرأة لعيسى عليه
السلام : طوبى لبطن حملك وثدي أرضعك قال : بل طوبى لمن قرأ
القرآن ثم اتبع ما فيه » (٤٨٤) .

وفي باب (٩٢) ما يخاف من حيرة العلماء والتليس على الحكماء
عند وجود ذلك وما يلحقهم من الفتنة به .

أورد فيه عن الربيع بن أنس قال : « أوحى الله تعالى إلى نبي من
الأنبياء ، أما بعد : فإن قومك يلبسون جلود الضأن ويتشبهون
بالرهبان » إلخ (٥٨٠) .

وعن وهب بن منبه : « يقول الله عز وجل فيما يعاتب به أحبار بني
إسرائيل : أتفقهون لغير الدين ، وتتعلمون لغير العمل ، وتبتاعون
الدنيا بعمل الآخرة ، وتلبسون جلود الضأن . . . ؟ » إلخ (٥٨١) .

وكان ينبغي للمؤلف رحمته الله اجتنابها ، فلسنا في شيء من الحاجة إلى
إثبات عقائدنا بتلك الإسرائيليات والواهيات والضعاف .

وقد يستخدم رحمته الله النص الواحد في أكثر من باب ، مستدلا من
النص بجمله جاءت فيه تدل على ما جاء في العنوان الذي عقده .
فمثلا حديث عبد الله بن عمرو بن العاص : « لكل عمل شرة ولكل

شرة فترة « ومن كانت فترته إلى ستي فقد أفلح ، ومن كانت فترته إلى غير ذلك فقد هلك » .

ذكره في باب « ضلالة من خالف سنة رسول الله ﷺ وما يلحقه في ذلك من الإثم والخسران في الدنيا والآخرة » . برقم (٤٠) .
ثم ذكره مرة أخرى برقم (١٢١ ، ١٢٢) تحت عنوان « باب هلاك من خالف السنة » :

وحديث العرياض بن سارية : « عليكم بستي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، عضوا عليها بالنواجذ » أورده في الأبواب التالية :

(١٨) باب وجوب اتباع سنة الأئمة الراشدين رضي الله عنهم .

(٢٨) باب وجوب اتباع أبي بكر وعمر رضي الله عنهما .

وانظر الأرقام : (١٢٠ ، ١٦١ ، ١٦٥) .

وحديث أبي هريرة : « الإثم ثلاث ، الإشراف بالله ، ونكث

الصفقة ، وترك السنة » قيل يا رسول الله : ما ترك السنة ؟ قال :

« الخروج من الجماعة » .

ذكره في باب « هلاك من خالف السنة » برقم (١٢٣) .

ثم ذكره مرة أخرى تحت باب « عقوبة تارك الجماعة في الدنيا

والآخرة وهو مفارق السنة » برقم (١٩٨) .

وقد يروى الحديث الواحد من طريق في باب ، ثم يرويه من طريق

آخر أو بلفظ آخر غير اللفظ الذي أورد قبل ذلك .

كما روى حديث عائشة بلفظ : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس

منه فهو رد » (٤٠٤) .

ثم بلفظ : « من فعل أمرا ليس عليه أمرنا فهو رد » (٤٠٥) .
 ثم بلفظ : « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد » (٤٠٦) .
 ثم بلفظ : « كل أمر لم يكن عليه أمرنا فهو رد » (٤٠٧) .
 وأثر عمر في صبيغ بن عسل الذي كان يسأل عن مشكل القرآن .
 أوردته من عدة طرق مع بيان الخلاف الوارد في ألفاظ الأثر ، وانظر
 الأرقام : (٥٢٣ ، ٥٢٤ ، ٥٢٥ ، ٥٢٦ ، ٥٢٧ ، ٥٢٨ ، ٥٢٩ ،
 ٦٥٨ ، ٦٥٩ ، ٦٦١) .

وحديث عمر في تحذيره ﷺ عن منافق عليم اللسان .
 أوردته من أربعة طرق مع ذكر اختلاف الألفاظ الواردة . وانظر
 الأرقام : (٥٥٣ ، ٥٥٤ ، ٥٥٩ ، ٥٦١) .
 وحديث عبادة بن الصامت : « عليك بالسمع والطاعة في عسرك
 ويسرك ومنشطك ومكرهك ، وفي اثره عليك » .
 أوردته في باب « أمر النبي ﷺ باتباع ما في كتاب الله عز وجل »
 برقم : (٧٠) .

ثم أوردته في باب : « كون العلم في الكتاب والسنة دون غيرهما من
 المحدثات والأمر باتباعهما » (٥٠٦) .

وحديث عبد الله بن عباس رواه بلفظ : « من عمل لله عز وجل في
 الجماعة فأصاب ، يقبل منه ، وإن أخطأ غفر له . . . » (١٩٢) .
 ثم رواه بلفظ : « من عبد الله في الجماعة . . . إلخ » (١٩٣) .
 ومنهجه هذا يؤدي إلى فائدة زائدة ، وهي معرفة تعدد الطرق
 واختلاف الألفاظ ، وقد يرتفع الحديث الضعيف ضعفا قريبا محتملا

إلى الحسن لغيره ، ويرتفع الحسن لذاته إلى الصحيح لغيره ، وهذا العمل له قيمة علمية فضلا عن دلالة الواضحة على تمكن المؤلف من علم الحديث ونبوغه فيه .

ويورد أحيانا بعض النصوص في بعض الأبواب لا تظهر لإيرادها فيه أي مناسبة ، كما فعل في إيراد الحديث « من جعل الاستطاعة إلى نفسه فهو كافر » في باب « ضلالة من خالف سنة رسول الله ﷺ » .
وحديث عمرو بن عوف المزني في فضائل الأنصار في باب « وجوب الاعتصام بالقرآن » .

وحديث « تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي . . . » في باب « فضيلة أصحاب الحديث » .

وحديث « أبغض خلق الله إلى المشاورون » (؟) وهم الكاذبون . . . في باب « عقوبة من فعل ذلك » .

ذكر بعض الرؤى والمنامات ضمن بعض المباحث تشهد لأهل السنة والجماعة لصحة عقائدهم وترد على المخالفين لهم : كما فعل في مبحث عقيدة محمد بن يحيى الذهلي عند الفقرة رقم : (٣٨٣) ،
وضمن عقيدة محمد بن عكاشة الكرمانى عند الفقرة رقم : (٣٧٨) .
كما ذكر رؤيا محمد بن وزير في « فضائل الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم » (٤٤٣) .

لم يتعرض المؤلف ﷺ لشرح جمل أو حل غامض أو بيان المعنى الوارد في الأحاديث والآثار ، إلا في بعض الأحيان كما فعل عند حديث المطلب بن حنطب : « ما تركت شيئا مما نهاكم الله عنه ، إلا

وقد نهيتكم عنه وأن الروح الأمين قد نفث في روعي . . . » (٦٤٣) .
 ثم أورد قول أبي عبيد القاسم بن سلام في معنى النفث .
 وأورد بعض الآيات الشعرية في مدح أهل الحديث وفضائلهم ، كما
 فعل عند الفقرات : (١١٥ ، ١١٨ ، ٢٣٠ ، ٣٦٥ ، ٣٧١ ، ٣٧٢) .
 ويغلب على المنهج الذي اختاره منهج العرض ، حيث أورد أكثر
 النصوص لعرض الموضوع وإثبات الحجة ، ولكن في الوقت نفسه
 استخدم منهج النقد الشامل لموضوع من موضوعات الكتاب وهو ذم
 الكلام ، فأورد كثيرا من الأحاديث والآثار والأقوال في نقد هذا
 الموضوع .

أما القسم الثاني من الكتاب وهو قسم العقيدة ، فقد قام المؤلف
 ﷺ ببيان ما يجب على كل مسلم من اعتقاد في ذات الله وأسمائه
 وصفاته . وما يتعلق بالأمور الغيبية من عذاب القبر ومنكر ونكير
 وملك الموت وغيرها من المسائل الاعتقادية .

فذكر أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ، ولم يتعرض لتفصيل
 جزئياتها وبيان أدلتها ، ثم أورد عقيدة جماعة من السلف كعبد الله بن
 المبارك ، وأحمد بن حنبل ، وبشر بن الحارث ، والرازيين ، أبي
 حاتم وأبي زرعة ، ومحمد بن يحيى الذهلي ، بالإضافة إلى عقيدة
 محمد بن عكاشة الكرمانى ، وعقيدته إن كانت موافقة لأصول اعتقاد
 أهل السنة ولكنه متهم بالكذب ، فكان ينبغي للمؤلف ﷺ اجتناب
 ذكر أمثال هذا ، فإن ذلك من الأمور التي تشين بمنهجه وتخل بأهمية
 الكتاب .

هذه هي الخطوط العريضة للمنهج الذي اختاره نصر في تأليف كتابه ، فصلناه مع ذكر الأمثلة .

ويمكن أن نحدد هذا المنهج في النقاط التالية :

١ - إن المؤلف سلك فيه مسلك المحدثين من حيث إيراد النصوص بأسانيدھا المتصلة .

٢ - إنه جمع الأحاديث تحت الأبواب التي تشمل مختلف جوانب موضوع الكتاب .

٣ - إنه اهتم بالجمع فقط من غير تمحيص وتدقيق ، فلا يحكم عليها من حيث الصحة والضعف .

٤ - أورد جملة من الأحاديث والآثار بإسناد ضعيف جدا بل بإسناد موضوع .

٥ - كرر بعض الأحاديث والآثار تحت أبواب متعددة مستدلا بجملة جاءت فيها مناسبة للعنوان .

٦ - قلما يورد حديثا في موضعين بلفظ واحد وإنما يورده من طريق آخر لمعان زائدة .

٧ - علق في مستهل بعض الأبواب بعض التعليقات التي تفيد في فهم النصوص الواردة في هذا الباب .

٦ - قد يتعرض لشرح جمل أو حل غامض أو بيان معنى .

٩ - أورد في بعض المباحث الرؤى والمنامات استشهادا على ما ذكره .

١٠- اكتفى بذكر أصول العقيدة ولم يتطرق إلى بيان جزئياتها وإيراد الأدلة عليها .

١١- إنه حفظ لنا عقيدة بعض فطاحل علماء أهل السنة ، وذكر مواقفهم تجاه القضايا العقديّة .

وجدير بالذكر أن هذا المنهج الذي ذكرته هو منهج المؤلف نصر في تأليف كتابه « الحجة » ، وأما النسخة الموجودة لدينا من هذا الكتاب - وهي مختصرة - فإن منهجها لم يتغير عن الذي وضعه عليه نصر ، سوى إسقاط الأسانيد وحذف المكررات مع الإشارة إليها وهو من عمل المختصر .



المبحث الثالث

قيمة الكتاب العلمية

إن كتاب « الحجة » - المؤلف في موضوع الاعتصام بالكتاب والسنة ولزوم اتباع ما فيهما - كتاب فريد في بابهِ ، نفيس في موضوعه ومادته ، لم يسبق أحد من العلماء - حسب علمي - قبل أبي الفتح إلى تأليف كتاب بهذا الاسم والموضوع .

وهو يتألف من مائة وستة عشر باباً ، تشمل أهم موضوع من موضوعات العقيدة ، وهو الاعتصام بالكتاب والسنة ، والحث على الاتباع ، والنهي عن الابتداع ، وذم الكلام وأهله .

ويحوي الكتاب ما يزيد على سبعمائة نص ، من أحاديث مرفوعة وأثار عن الصحابة والتابعين ومن دونهم من الأئمة ، وبهذا التوسع الموضوعي الشامل ، أصبح الكتاب من أقدم المؤلفات في الباب وأشملها موضوعاً وأكثرها استيعاباً بالمادة العلمية .

اعتمد المؤلف فيه على مصادر العقيدة الأصلية - كتاب الله وسنة رسوله ﷺ - وسلك مسلك المحدثين في سوق الأحاديث والآثار وأقوال العلماء بالأسانيد المتصلة ، مقتدياً في ذلك بعلماء السلف ، الذين سبقوه في هذا المجال ، فأورد الأدلة من الكتاب والسنة تحت عناوين دالة على المراد في إيراد ذلك النص .

مؤلف هذا الكتاب هو أحد كبار الأئمة الأعلام في القرن الخامس ، وله جهود عظيمة في خدمة العلوم الإسلامية ، حيث شارك في أكثر من مجال ، وقد وصف بالإمام الحافظ المحدث الفقيه . فكونه

محدثا تظهر شخصيته الحديثية في هذا الكتاب ، فقد جمع عددا كبيرا من الأحاديث والآثار المتعلقة بالموضوع لم يستوعبه كتاب آخر . وتزداد أهميته وتمتاز من بين كتب المعاصرين الذين ألفوا في هذا المجال ، في كثرة أبوابه وتنوع مادته ، حيث عقد فيه المؤلف أبوابا لم يسبقه أحد من معاصريه من العلماء . ومن هنا تظهر درايته وتفقهه ، فكان هذا الكتاب ثمرة ناضجة من ثمار هذا المحدث الفقيه .

ثم إننا نرى أن الآثار المروية عن الصحابة والتابعين ومن دونهم توجد في الكتاب بكثرة ، حيث بلغ عددها تسعين وثلاثمائة أثر . وهذه الآثار لها قيمة علمية كبيرة ، فقد تعد وثيقة نفسية وصورة حية صادقة لما كان عليه سلفنا الصالح من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ، كما تحدد لنا موقف الأمة الإجماعي تجاه الفرق المنحرفة وأهل الأهواء الضالة .

فلذا يعتبر هذا الكتاب مرجعا هاما لمعرفة هذه الآثار . وتقدم عند ذكر تحليل موضوع الكتاب ، أن المؤلف أودع في الكتاب قسطا كبيرا من الأحاديث والآثار الواردة في فضائل القرآن والاعتصام به ، مما يجعلنا نقول إنه أيضا مصدر مهم للأحاديث والآثار الواردة في فضائل القرآن .

وسبقت الإشارة أيضا فيما تقدم إلى أن المؤلف بصفة كونه أحد أئمة الشافعية الكبار ، وينسب إلى هذا الإمام الكبير من أئمة السلف ، فقد أورد آراءه وأقواله فيما يتعلق بموضوع الكتاب وعلى سبيل المثال : روى (١٧) أثرا عنه في موضوع واحد وهو ذم الكلام والبدع .

وتظهر أهمية الكتاب في كثرة الاقتباسات منه في كتب المتأخرين ، كما رأينا ذلك من قبل في توثيق نسبة الكتاب . فلو لم يكن له قيمة علمية كبيرة لما أعطى المؤلفون المتأخرون له مكانا في مؤلفاتهم . ثم إن المؤلف حاول جمع الأحاديث والآثار الواردة في باب الاعتصام ، وقد وفق في محاولته ، فاستطاع أن يجمع في هذا الباب ما لم يجمعه كثير ممن صنف في الحديث .

والكتاب يعطينا صورة واضحة عن الواقع الذي كان يعيشه المجتمع الإسلامي في عصر المؤلف ، من انتشار البدع والمنكرات ، ووجود كثرة الفرق المنحرفة وأهل الأهواء الضالة ، مع محاولة لعلاجه وهو العودة بالأمة إلى الاعتصام بالكتاب والسنة .

أما كونه مرجعا هاما ومصدرا موثوقا في العقيدة السلفية ، فهو واضح وضوحا كاملا ، فقد ذكر فيه المؤلف أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ، وبين ما يجب على كل مسلم من اعتقادات في أسماء الله وصفاته ، وفيما يتعلق بالأمر الغيبية كعذاب القبر ومنكر ونكير وملك الموت والجنة والنار والحوض والصراط والميزان والشفاعة وإخراج قوم من النار ، وفي الصحابة والوعد والوعيد والسمع والطاعة لولاية الأمور وغيرها من المسائل الاعتقادية .

كما يتميز هذا الكتاب بإيراد عقيدة مفصلة لبعض الأئمة من السلف ؛ كأبي عبد الرحمن عبد الله بن المبارك المروزي (ت ١٨١هـ) ، وأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١هـ) ، وأبي نصر بشر بن الحارث الحافي (ت ٢٢٧هـ) ، ومحمد بن يحيى الذهلي

(ت ٢٥٨هـ) ، وأبي زرعة عبيد الله ابن عبد الكريم الرازي (ت ٢٦٤هـ) ، وأبي حاتم محمد بن إدريس بن المنذر الرازي (ت ٢٧٧هـ) .

ولم يشاركه في هذا الجانب أحد من العلماء الذين ألفوا قبل أبي الفتح إلا اللالكائي في « كتاب السنة » بل إنه - أي اللالكائي - تفوق عليه .

ومن هنا قال الذهبي في وصف الكتاب « إنه مجلد في السنة » وتبعه حاجي خليفة في « كشف الظنون » فعرّفه بقوله : « كتاب يتضمن ذكر أصول الدين على قواعد أهل الحديث والسنة » . وأورده الكتاني في « الرسالة المستطرفة » ضمن الكتب المؤلفة في السنة .

وقد ألفت عدة كتب ومؤلفات في هذا القرن ، وسلك مؤلفوها نفس المسلك ، ولكن أكثرهم لم يختاروا منهجا يجمع بين رواية الأحاديث والآثار بالأسانيد المتصلة الدالة على الاعتصام بالكتابة والسنة ، والنهي عن الخوض في الكلام ، وبين عرض أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة .

فحوى هذا الكتاب عددا كبيرا من الأحاديث والآثار المتعلقة بموضوع الكتاب ، مع ذكر العقيدة السلفية الأصيلة . بخلاف كثير من الكتب التي لم تستوعب إلا جانبا واحدا .

ومن أجل أن يكون الأمر أكثر إيضاحا ، عقدت مقارنة بين كتاب « الحجة » وبين كتابين آخرين ، وهما الكتابان اللذان ألفا في الوقت

نفسه ، وأصحابهما من المعاصرين لأبي الفتح ، .
أما أحدهما : فقد اتفق مع كتابنا هذا في الاسم واختلف معه في
الموضوع والمادة .

وأما الثاني منهما : فقد اتفق معه في إيراد المادة العلمية ولكن
اختلف معه في الاسم .

١ - الحجة في بيان المحجة وشرع عقيدة أهل السنة : لأبي القاسم
إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني (ت ٥٣٥هـ) .
إن هذا الكتاب يتفق مع كتاب أبي الفتح في الاسم في بادي الأمر ،
ولكن عند إمعان النظر فيه يظهر الفرق الواضح في الاسم والموضوع
والمادة .

وهذا الاتفاق الاسمي قد أدى إلى أن وقع بعض أهل العلم في
الخلط بين كتابين ، كما حصل لبعض شراح كتاب الأربعين للنووي .
وإليه أشار حاجي خليفة في « كشف الظنون » فقال : « الحجة في
بيان المحجة » للشيخ الإمام أبي القاسم إسماعيل بن علي الأصبهاني ،
وهو مجلد كثير الفصول والأبواب ، جمع فيه دلائل التوحيد وعقائد
أهل السنة .

وفي شرح الأربعين لمولانا اللاري : « كتاب الحجة على تارك
المحجة » يتضمن ذكر أصول الدين على قواعد أهل الحديث والسنة
قال : وهو للشيخ أبي الفتح نصر بن إبراهيم الشافعي الفقيه الزاهد
نزير دمشق ، وأفصح بعض الشارحين أنه للحافظ أبي القاسم
إسماعيل بن محمد الأصبهاني وهو خطأ .

وموضوع الكتاب مطابق بما جاء في عنوان الكتاب وهو أن المؤلف - أبا القاسم الأصبهاني - يهدف إلى بيان العقيدة الصحيحة التي مصدرها الكتاب والسنة ، وهي عقيدة الفرقة الناجية التي كان عليها أصحاب القرون الثلاثة الأولى ، فيقول : « رأيت أن أملي كتابا في السنة ، يعتمد عليه من قصد الاتباع وجانب الابتداع ، وأبين فيه اعتقاد أئمة السلف وأهل السنة في الأمصار والراسخين في العلم في الأقطار ، ليلزم المرؤ اتباع الأئمة الماضين ويجانب طريقة المبتدعين . . » (١) .

ثم بين أبو القاسم في مقدمة الكتاب الأمور التالية :

١ - بيان وظيفة الرسل وأن الله أرسلهم وأنزل معهم الكتب وختمهم بمحمد ﷺ ، فقطع به العذر والحجة للكافرين ، وأنه ﷺ بين للأمة السبيل ، ويوضح لهم طريق الخير .

٢ - بيان فشو البدع - في عصره - وانتشار آراء المبتدعة وأقوالهم .

٣ - إعراض الناس عن اتباع عقيدة السلف وانتقاصهم لأهل السنة ، واشتغالهم بعلم الكلام المذموم .

وقسم المؤلف الكتاب إلى أبواب وفصول ، ولأكثر إيضاحا نذكر

عناوين الكتاب :

١ - باب في التوحيد .

٢ - باب مجيء الأخبار عن النبي ﷺ متواترة في صفات الله .

٣ - باب ذكر إثبات وجه الله عز وجل .

(١) الحجة في بيان المحجة (٢/ب) .

٤ - باب الدليل من الكتاب والأثر على أن الله تعالى لم يزل متكلمًا .
٥ - باب ما ورد في كتاب الله من بيان أن القرآن كلام الله غير مخلوق .

٦ - باب مسائل الإيمان .

٧ - باب في الرد على الجهمية والمعتزلة .

٨ - كتاب القدر .

٩ - باب ذكر الوعد والوعيد .

١٠ - باب في بيان استواء الله عز وجل على العرش .

١١ - باب كلام الرب عز وجل .

١٢ - باب فضائل الصحابة .

١٣ - باب في التمسك بالسنة .

١٤ - باب في اجتناب البدع والأهواء .

ومنهج فيه أنه يعقد بابا أو فصلا يتعلق بموضوع من موضوعات العقيدة فيورد الآيات القرآنية والأحاديث والآثار المتعلقة به بأسانيدھا ، ثم يشرح مذهب أهل السنة في الأمور الاعتقادية مع بيان جزئياتھا ، ويناقش المخالفين من الفرق الباطلة ويرد عليهم بالأدلة النقلية والعقلية واللغوية .

ومن هنا نرى أن الأصبهاني فاق أبا الفتح في عرض عقيدة أهل السنة ، حيث شرحها شرحا وافيا مع بيان جزئياتھا ، وإيراد الأدلة العقلية والنقلية عليها والرد على المخالفين لها .

بينما اقتصر أبو الفتح بذكر أصولها مع الاختصار ، ولم يتعرض

لتفصيل جزئياتها وبيان أدلتها إلا أنه تميز بإيراد عقيدة مفصلة لبعض الأئمة من السلف .

كما أن أبا الفتح ركز معظم جهوده في كتابه هذا على إيراد الأحاديث والآثار الواردة في بيان حجية الكتاب والسنة وإجماع الأمة ، وإقامة الحجة على تاركها ، والحض على الاعتصام بالكتاب والسنة ، وذم الكلام والتحذير من البدع والمحدثات والجدل والخصومات في الدين ، وهذا الجانب من الموضوع لم يتطرق إليه الأصبهاني إلا نادرا ضمن بعض الفصول والأبواب .

فالفرق بين الكتابين واضح جدا .

٢ - ذم الكلام وأهله : لأبي إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي

الهروي (ت ٤٨١هـ) .

كتاب آخر يحمل عنوانا مخالفا تماما لعنوان كتاب أبي الفتح ، ولكن يتفق معه في الجزء الكبير من المادة العلمية ، وهو كتاب قيم نافع حافل بالمواد العلمية في ذم الكلام وأهله ، يلتقي مع مباحث كتاب أبي الفتح في ربع المادة الواردة في الكتاب تقريبا ، كلها من القسم الأول من الكتاب .

وبذل الهروي معظم جهوده في جمع المواد العلمية في موضوع واحد إذ قام بإيراد الأدلة من الكتاب والسنة وآثار السلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة الدين على ذم الكلام والجدال والمراء والأهواء والخصومات في الدين .

وشمل كتابه هذا الأبواب التالية :

- ١ - باب البيان أن الأمم السالفة إنما استقاموا على الطريق ما اعتصموا بالتسليم والاتباع وأنهم لما تكلفوا وخاصموا ضلوا وهكّلوا .
- ٢ - باب ذكر شدة ما كان رسول الله ﷺ يخاف على هذه الأمة من الأئمة المضلين والمجادلين في الدين وخطباء المنافقين .
- ٣ - باب كراهية تشقيق الخطب وترقيق الكلام .
- ٤ - باب ذم الجدل والتغليظ فيه .
- ٥ - باب فضل ترك المراء وإن كان المماري محقا .
- ٦ - باب تغليظ المصطفى ﷺ في الجدل في القرآن .
- ٧ - باب تعظيم المصطفى ﷺ في الجدل في القرآن ونهيه عنه .
- ٨ - باب إقامة الدليل على بطلان قول من زعم أن القرآن يستغنى به عن السنة .
- ٩ - باب التغليظ في معارضة الحديث بالرأي .
- ١٠ - باب شدة كراهية المصطفى وخيار أمته التعمق في الدين .
- ١١ - باب كراهية التنطع في الدين والتكلف فيه .
- ١٢ - باب مخافة المصطفى ﷺ والسلف الصالح على من اشتغل بأقاويل أهل الكتاب .
- ١٣ - باب ذكر إعلام المصطفى أمته كون المتكلمين فيهم (؟) .
- ١٤ - باب ذكر إنكار أئمة الإسلام ما أحدثه المتكلمون في الدين من الأغاليط .
- ١٥ - باب لعن المحدثين والمتكلمين والمخالفين .
- ١٦ - باب كراهية أخذ العلم عن المتكلمين وأهل البدع .

١٧- باب تعظيم إثم من سن سنة سيئة أو دعا إليها .

١٨- ومن المهلكات على لسان المصطفى ﷺ إعجاب كل ذي رأي

برأيه .

فهذه العناوين كلها تدور حول موضوع واحد وهو ذكر إنكار أئمة الإسلام ما أحدثه المتكلمون في الدين ، من البدع والمحدثات ، وبيان موقف الأمة الإجماعي تجاه ذم الكلام والمتكلمين ، وقد شاركه فيه أبو الفتح حيث أورد نصوصا كثيرة - تتعلق بهذا الموضوع - في كتاب « الحجة » .

ولكن بإمعان النظر في عناوين الكتاب يظهر أن الهروي فاق أبا الفتح بإيراد ما يتعلق به من النصوص الدالة عليه من حيث شمول الموضوع ووفرة المواد العلمية .

ولكن انفرد كتاب أبي الفتح بموضوع مهم وهو فضائل القرآن والاعتصام به ، وهذا من أهم مباحث كتاب الحجة وأكبرها حجما بالنسبة للمواضيع الأخرى ، فقد عقد أبو الفتح سبعة وثلاثين بابا فيما يتعلق به .

بينما نرى أن الهروي لم يتحدث عن هذا الموضوع .

كما انفرد كتاب الحجة ببيان ما يجب على المسلم من اعتقادات في ذات الله سبحانه وأسمائه وصفاته ، وما يتعلق بالأمور الغيبية كعذاب القبر ومنكر ونكير وملك الموت وخلق الجنة والنار والصراط والميزان والحوض والشفاعة وغيرها من الأمور الاعتقادية ، ثم بإيراد عقيدة مفصلة لبعض علماء السلف .

وهذه ميزة كبيرة لا توجد في كتاب الهروي .
وخلاصة القول : أن الأصبهاني في كتابه - الحجة - اختار منهج
العرض حيث شرح عقيدة أهل السنة مع بيان جزئياتها وذكر الأدلة
عليها .

كما غلب على كتاب الهروي منهج النقد ، حيث قام بإيراد الأدلة
في الرد على المشتغلين بعلم الكلام والفلسفة .
وأما كتاب أبي الفتح فهو يشتمل على الطرفين ، العرض والنقد ،
فقد عرض فيه عقيدة السلف بإجمال ، وأورد أكثر النصوص لعرض
الموضوع وإثبات الحجة ، كما استخدم منهج النقد الشامل لموضوع
من موضوعات الكتاب وهو ذم الكلام وأهله ، فأورد كثيرا من
الأحاديث والآثار والأقوال في نقد هذا الموضوع ، فكتابه هذا جامع
في الجملة لموضوع الكتابين ، والله أعلم .



بعض المآخذ على الكتاب

إن الإنسان مهما بلغ من العلم والمعرفة ، فهو معرض للخطأ والنسيان ، وقد قال ﷺ : « كل بني آدم خطاؤون وخير الخطائين التوابون » .

وقال الإمام مالك : « كل يؤخذ من كلامه ويرد إلا رسول الله ﷺ » . فالبشر من طبائعهم الوقوع في الأخطاء والزلات ، وإن من أعمالهم ما تؤخذ وترد ، إذ العصمة لم يجعلها الله إلا لأنبيائه ورسله . ومن هذا المنطلق يمكن للباحث في شخصية ما ، أو في إنتاجه العلمي ، توجيه النقد إلى منهج وبيان المآخذ في تأليفه . وسوف نتناول هذه المآخذ من الناحيتين : العلمية ، المنجية .

الناحية العلمية :

إيراده في الكتاب جملة من الأحاديث الضعيفة والموضوعة ، مما حط قيمة الكتاب من منزلته ونال من درجته ، وكان من الواجب على المؤلف التجنب عن هذه الواهيات في أهم موضوع من موضوعات العقيدة وهو توحيد الاتباع ، إذ من المقطوع به عقلا أن الاعتقاد بل الأحكام لا تؤخذ من الأحاديث الضعيفة والموضوعة ، ووجود الأحاديث الصحيحة في الباب يغنيها عن هذه الواهيات .

ولعل قصد المؤلف من إيراد هذه الموضوعات والضعاف هو جمع كل ما ورد في الباب دون فحص أو تدقيق ، لأن العصر الذي عاش فيه هو عصر الرواية والإسناد ، فكان العلماء يكتفون بسوق الأسانيد عند رواية الأحاديث دون الحكم عليها من حيث الصحة والضعف ،

وعندئذ اعتقدوا أنهم خرجوا من العهدة وبرئت الذمة .
وقد دافع الحافظ ابن حجر عما وجه إلى أبي القاسم الطبراني من
النقد لإيراده بعض الروايات الواهية في مؤلفاته فقال : « هذا أمر لا
يختص به الطبراني فلا معنى لإفراده اليوم ، بل أكثر المحدثين في
الأعصار الماضية ، من سنة مائتين وهلم جرا ، إذا ساقوا الحديث
بإسناده اعتقدوا أنهم برأوا من عهده » (١) .

فالمؤلف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : مشارك في هذا الجانب المنهجي مع كثير من
علماء السلف كالطبراني وأبي الشيخ وابن بطة واللالكائي وأبي نعيم
والبيهقي والخطيب وغيرهم ممن سلكوا هذا المسلك ، وندافع عن
المؤلف مما دافع به الحافظ عن الطبراني .

وأما ما أورده من الأحاديث الضعاف فإن في إيراده فائدة كبيرة ، فقد
ترتفع درجة الحديث الضعيف ضعفا محتملا إلى الحسن لغيره عند
وجود الشواهد والمتابعات ، ولذا يمكن أن يعتذر عن المؤلف في
ذلك ، نظرا إلى القيمة العلمية الموجودة في هذا المنهج .

٢ - إكثاره من الآثار بصفة ملحوظة حيث بلغ عددها ثلاثمائة وتسعين
أثرا ، وكان ينبغي للمؤلف التقليل منها أو الاكتفاء بقدر يساعد في فهم
النصوص الواردة من الكتاب والسنة في الباب ، لأن هذه الآثار لا تنهض
حجة في ذاتها ، ولكن تعد نبراسا يستضاء بها في فهم المراد ، ويمكن أن
يعتذر له بأن المقصود من إيراده الاستئناس بها والاستشهاد فقط ،

(١) لسان الميزان (٧٥/٣) .

وليس الاستدلال كما أن لها أهمية بالغة في تحديد موقف الصدر الأول من هذه الأمة تجاه بعض القضايا العقيدية .

٣ - عدم الكلام على إسناد الأحاديث ، والسكوت عن بيان درجاتها ، فلو عقب على كل منها بحكم يبين درجاتها من حيث الصحة والضعف ، لكان عمله مطابقا بمكانته العلمية ، فقد وصف بالحافظ المحدث . ثم إننا نرى أنه اختار هذا المنهج في كتاب الأربعين له حيث يذكر عقب كل حديث ، فلو سلك هذا المسلك في هذا الكتاب لكان له أهمية كبيرة .

٤ - عدم إيراد بعض الأحاديث الصحيحة المتعلقة بالموضوع في بعض أبواب الكتاب ، والاكتفاء بالأحاديث الضعيفة ، كما فعل ذلك في الباب العشرين « باب حبط العمل ورده إذا لم يوافق السنة » حيث أورد فيه حديث أنس « القرآن في الصلاة أفضل من القرآن في غير الصلاة . . . » (١٢٤) .

وحديث علي : « لا يصلح قول وعمل ونية إلا بالسنة . . » (١٢٥) .

وفي الباب الذي بعده : « باب فضل العمل وتضعيفه وتمامه إذا وافق السنة » . فقد ساق فيه حديث أبي بكر : « من كتب عني علما فكتب معه صلاة . . . » (١٣٤) .

وحديث أنس : « عمل قليل في سنة خير من اجتهاد في بدعة » (١٣٢) .

وجميع هذه الأحاديث قد حكم عليها بالوضع أو الضعف الشديد ،

فكان ينبغي للمؤلف تركها وإبدالها بالأحاديث الصحيحة المتعلقة بالموضوع ، فمثلا حديث : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » وحديث أبي هريرة : « من أحدث حدثا أو آوى محدثا في الإسلام . . . » وحديث أنس : « من رغب عن سنتي فليس مني » .

٥ - اكتفاؤه في بعض الأبواب بإيراد الآثار ، دون تعرض لذكر الأحاديث المرفوعة ، كما فعل ذلك في الأبواب التالية :

- ٣٨- « باب مدح من جانب الكلام ولم يقل به » .
- ٤٢- « باب ذم الأهواء المخالفة للكتاب والسنة وإجماع الأمة » .
- ٥٢- « باب الأمر بهجران أهل البدع » .
- ٥٣- « باب النهي عن الصلاة خلفهم » .
- ٦٣- « باب فضل التمسك بالسنة والأثر » .
- ٦٤- « باب الحاجة إلى السنة لتفسير القرآن وبيانه » .
- ٩٤- « باب ما يخاف على عوام الناس من اشتباه الحق بالباطل عند فساد العلماء » .

١١٥- « باب ما يجب على العلماء من السكوت عما لم يعلموا ، وترك الجواب عنه إذا سئلوا » .

٦ - اكتفاؤه في بعض الأبواب بإيراد الأحاديث الضعيفة وجعل هذه المرويات أساسا لعقد الباب ، كما فعل في الأبواب التالية :

- ٤٦- « باب ما قيل في توبتهم » (المبتدعة) .
- ٨٩- « باب ما يخاف ممن تشبه بالعلماء وليس منهم وأراد أن يحسب من جملتهم ويعد فيهم . . . » .

٩٢- « باب ما يخاف من حيرة العلماء والتليس على الحكماء عند وجود ذلك » .

٩٣- « باب ما يخاف من عقوبة الحيرة عند مخالفة كتاب الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ » .

١٠٤- « باب كون من فعل ذلك خليفة رسول الله ﷺ على أمته » .

٧ - ذكره بعض الأشياء الواهية كالمنامات وغيرها لإثبات صحة مذهب السلف ، ومثال ذلك ما جاء في الفقرات التالية : (٣٧٨ ، ٣٨٣ ، ٤٤٣) .

٨ - استشهاده بآراء وأقوال بعض المتهمين في باب الاعتقاد كمحمد بن عكاشة الكرمانى ومعاوية الكرمانى ، فإن أحدهما كذاب والثانى مجهول . والاعتقاد الذى ذكره المؤلف عن الأول منهما ، وإن كان موافقا لأصول اعتقاد أهل السنة ، ولكن كان ينبغي له اجتنابه ، ولسنا في حاجة إلى أمثال هذا لإثبات عقائدنا .
الناحية المنهجية :

١ - عدم الدقة في تبويب الكتاب .

فقد يلاحظ في بعض الأبواب تداخل وتكرار كما نرى في الأبواب التالية :

باب ما يجيب على جميع المسلمين من الرجوع إلى كتاب الله .

باب الرجوع في مثل ذلك إلى كتاب الله .

باب وجوب الاعتصام بالقرآن .

باب أمر النبي ﷺ باتباع ما في كتاب الله .

باب وجوب العمل بالقرآن والاعتماد عليه .
وهذا يدل على أن المؤلف لم يستخدم في تبويب الكتاب الدقة الكافية ، وكان من الممكن دمج بعض هذه الأبواب مع بعضها وحذف المكرر منها .

٢ - إيراده بعض النصوص في بعض الأبواب لم يظهر لي لإيراده فيه أي مناسبة ، ويشاهد ذلك فيما أورده في الباب الثامن « باب ضلالة من خالف سنة رسول الله ﷺ ، حيث أورده فيه حديث : « من جعل الاستطاعة إلى نفسه فهو كافر » .

وفي الباب الحادي عشر : « باب وجوب الاعتصام بالقرآن لأمر الله تبارك وتعالى » . أورد فيه حديث عمرو بن عوف المزني في فضائل الأنصار .

وفي الباب الثامن عشر : « باب فضيلة أصحاب الحديث » . أورد فيه حديث أبي هريرة : « تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي ، ومن رآني في المنام فقد رآني » .

٣ - عدم الدقة في تنظيم المادة العلمية ، حيث لا يوجد التنسيق الفني المطلوب ، كما يشاهد ذلك في أبواب القرآن فقد استهل هذا المبحث بعنوان :

« باب جامع في ذكر القرآن » فعقد ستة عشر بابًا يتعلق بالموضوع ثم عقد أبوابا في السنة والإجماع ، ثم رجع إلى مباحث القرآن مرة ثانية .

فكان من الممكن له إيراد جميع النصوص الواردة في القرآن في

مكان واحد تحت عنوان جامع ، فيكون هذا التقسيم مطابقا للمنهج العلمي .

هذه هي الملاحظات التي ظهرت لي خلال دراسة الكتاب ، ذكرتها مع بيان الأدلة عليها ، وهي لا تنقص من قيمة المؤلف كما لا تنال من أهمية الكتاب .



مصادر المؤلف في الكتاب

ولد أبو الفتح نصر المقدسي في أول القرن الخامس الهجري ، وقضى أكثر من ثمانية عقود من هذا القرن ، وذلك بعد انتهاء عصر التدوين ، فالعلماء والمؤرخون يسمون القرون الثلاثة الأولى بالعصر الذهبي ، لازدهار الحركة العلمية في كل الفنون الشرعية ، واهتمام العلماء بالتأليف والتصنيف في شتى مجالات العلوم ، فقد دونت معظم دواوين السنة وألفت أمهات الكتب ، وظهرت أكثر المؤلفات قبل نهاية هذا العصر .

وهذا يبين لنا أنه رحمته الله قد استفاد في تأليف كتابه « الحجة » من كتب العلماء المتقدمين ، وإن لم يصرح هذا في أغلب الأحيان ، لأن العصر الذي عاش فيه هو عصر الرواية والإسناد ، فكان العلماء والمحدثون يلتزمون الرواية بالإسناد إلى صاحب المصدر الذي استفادوا منه ، ولذلك كانوا يبذلون كل الجهد للحصول على الإسناد ليتمكنوا من رواية الكتاب بإسنادهم .

وكان المؤلف رحمته الله واحداً من هؤلاء العلماء الذين اختاروا منهج المحدثين في تأليف كتبهم وساقوا الرواية بالإسناد .

وقد ظهر لي من خلال الدراسة لكتاب « الحجة » ، ومقارنة نصوصه مع نصوص بعض الكتب المتقدمة أن المؤلف رحمته الله استفاد منها في تأليف هذا الكتاب :

الموطأ : لأبي عبد الله مالك بن أنس الأصبحي (ت ١٧٩هـ) .

انظر الأرقام : (٨٦ ، ٨٨ ، ٢٤٧ ، ٣٨٨ ، ٤٤١ ، ٤٧٦ ،

. (٦٧٤)

أخذ أبو الفتح نصر أكثر مادة الموطأ عن شيخه أبي بكر محمد بن جعفر بن علي الميماسي ، عن أبي بكر محمد بن العباس بن وصيف الغزي ، ثنا أبو علي الحسن بن الفرغ الأزدي ، ثنا يحيى بن بكير المخزومي تلميذ مالك وراوي الموطأ ، عن الإمام مالك به .
وعن شيخه أبي الحسن علي بن طاهر القرشي ، أنبأنا أبو الحسن أحمد بن إبراهيم بن فراس ، أنبأنا أبو عبيد الله محمد بن الربيع الجيزي ، أنبأنا يونس بن عبد الأعلى ، ثنا عبد الله بن وهب ، أخبرني مالك به .

الرسالة : لأبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي (ت ٢٠٤هـ) .
انظر الأرقام : (٢ ، ١١ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩١ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٤١٦ ، ٤٢٦ ، ٤٣٥ ، ٥٠٧) .

يرويه المؤلف عن شيخه أبي الفتح سليم بن أبي أيوب الرازي ، عن أبي العباس ، أحمد بن محمد بن الحسين البصير ، ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم ، أنبأنا الربيع بن سليمان المرادي ، أنبأنا الإمام الشافعي به .

فضائل القرآن : لأبي عبيد القاسم بن سلام البغدادي (ت ٢٢٤هـ) .
انظر الأرقام : (٥٢ ، ٥٣ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٥ ، ٧٥ ، ٤١٧ ، ٤٢٨ ، ٤٤٢ ، ٤٦٣ ، ٤٨٤ ، ٤٩٥ ، ٥١٨ ، ٥٢٠ ، ٥٢١ ، ٥٢٢ ، ٥٤٢) .

غريب الحديث : له :

- انظر الرقم (٤٦٣) فقد صرح المؤلف باسم الكتاب .
المسند : لأبي محمد عبد بن حميد بن نصر السكسي (ت ٢٤١هـ) .
انظر الأرقام : (١٤١ ، ٤٢٨ ، ٥٤٢ ، ٦٧٩) .
يرويه المؤلف عن الحافظ أبي ذر عبد بن أحمد الهروي ، إجازة ،
أنبأنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن حموية السرخسي ، أنبأنا أبو
إسحاق إبراهيم بن خزيمة الشاشي ، أنبأنا عبد به .
سنن الدارمي : لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي (ت
٢٥٥هـ) .
انظر الأرقام : (٨ ، ١٤٥ ، ٣٠٩ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٩ ، ٣٤١ ،
٣٥٢ ، ٤٤٨ ، ٤٦٠ ، ٤٦١ ، ٤٦٣ ، ٤٧٨ ، ٥١٥ ، ٥٢٤ ، ٥٢٨ ،
٥٤٩ ، ٥٥٣ ، ٥٦٦ ، ٥٦٧ ، ٦٤٨ ، ٦٦٤ ، ٦٦٥) .
يرويه عن أبي الحسن علي بن أحمد ، أخبرني أبو علي الحسن بن
حفص الأندلسي ، أنبأنا أبو محمد عبد الله بن أحمد السرخسي أنبأنا
عيسى بن عمر السمرقندي ، ثنا الدارمي به .
الجامع الصحيح : لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت
٢٥٦هـ) .
انظر الأرقام : (١٠ ، ٤٥ ، ٨٣ ، ٩٢ ، ١٠٦ ، ١١٢ ، ١٦٠ ،
٣٢٧ ، ٣٩٠ ، ٤٠٤ ، ٤١٧ ، ٤٢٠ ، ٤٤٤ ، ٥٠٩ ، ٦٦٩ ،
٦٧٢ ، ٦٧٣ ، ٦٧٥ ، ٦٧٦ ، ٦٧٧) .
روى أكثر مادة « الجامع الصحيح » عن شيخه أبي الحسن علي بن
موسى بن الحسين السمسار ، عن أبي زيد المروزي ، عن أبي

عبد الله محمد بن يوسف الفربري راوي « الجامع الصحيح » ، ولم يكن بينه وبين البخاري إلا راويان .

الجامع الصحيح : لأبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري (ت ٢٦١هـ) .

انظر الأرقام : (٨٥ ، ١٣٥ ، ٢٠١ ، ٤٠٤ ، ٤٠٦ ، ٤١٧ ، ٤٢٠ ، ٤٤٤ ، ٥٠٩ ، ٦٦٩ ، ٦٧٢ ، ٦٧٣ ، ٦٧٥ ، ٦٧٦ ، ٦٧٧) .

رواه عن شيخه أبي الغنائم محمد بن محمد بن الفراء ، عن أبي العباس أحمد بن الحسن الرازي ، عن أبي أحمد محمد بن عيسى بن عمرويه ، عن أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن سفيان ، عن مسلم بن الحجاج به .

سنن أبي داود :

كتاب المراسيل : كلاهما لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥هـ) .

انظر الأرقام : (٦٧ ، ١٢٠ ، ١٣٥ ، ١٦١ ، ٢٠٨ ، ٢١٤ ، ٣٩٤ ، ٤٠٨ ، ٤٢٠ ، ٤٣٥ ، ٤٣٧ ، ٤٨٥) .

وكذلك : (٦ ، ٤٧٤ ، ٤٧٥ ، ٧٠٤) .

يرويه عن أبي الفرج عبيد الله بن محمد النحوي ، أنبأنا أبو الفتح محمد بن إبراهيم البصري ، أنبأنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد الأعرابي ، أنبأنا أبو داود سليمان بن الأشعث به .

غريب الحديث : لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري

(ت ٢٧٦ هـ) .

انظر الرقم : (٥٧٥) فقد صرح باسم الكتاب .
تفسير ابن أبي حاتم :

مناقب الشافعي : كلاهما لأبي محمد بن عبد الرحمن بن أبي حاتم
الرازي .

انظر الأرقام : (٥٠ ، ١٨٠ ، ٢٠٦ ، ٣٠٦) .

(٣ ، ٢١٠ ، ٢١٣ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ،

٢٢٥ ، ٢٤٩ ، ٢٨٠) .

أخذ أكثر مادته عن شيخه أبي الحسن محمد بن عوف ، عن أبي
بكر يوسف بن القاسم الميانجي أنبأنا ابن أبي حاتم به .

سنن الدارقطني : لأبي الحسن علي بن عمر الدارقطني (ت ٣٨٥ هـ) .

انظر الأرقام : (٤ ، ٤٨٨ ، ٤٩٧ ، ٥٠٢ ، ٧٠٢ ، ٧٠٣) .

تلقى المؤلف أكثر مادة الدارقطني عن شيخه سليم بن أيوب الرازي
وهو يرويه عن ثلاث شيوخ له وهم : أحمد بن محمد الرازي ، وأبو
حامد الإسفرائيني ، ومحمد بن عبد الله الرازي .

شرف أصحاب الحديث : لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب

البغدادي (ت ٤٦٣ هـ) .

انظر الأرقام : (١٦ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٧ ،

١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٣ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٣٤ ، ١٨٣ ،

٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣٤ ، ٢٥٦ ، ٣٧١) .

يرويه المؤلف عن الخطيب وهو شيخه المباشر وقد صرح بهذا عند

الفقرة رقم (١٧٢) .

هذه هي بعض النماذج من المصادر التي تبين لي من خلال التحقيق ، أن المؤلف استفاد منها في تأليف كتابه « الحجة » ، مع العلم بأن معظم ما ذكرت لم يكن إلا مجرد استنباط استنبطه من مقاومة نصوص الكتاب مع النصوص الموجودة في تلك المصادر ، ومن دراسة الأسانيد الموجودة في بعض مؤلفات نصر .

وهذا لا يعني أن هذه المصادر هي التي استخدمها المؤلف دون غيرها ، بل هناك مصادر أخرى من الممكن جدا أنه استفاد منها ، ولكن لا نستطيع تحديدها لعدم وجود الإسناد في كتابنا هذا .



المبحث الرابع

وصف المخطوطة

إن تحقيق كتاب على نسخة فريدة لا توازرها نسخة أخرى ، عمل شاق ومتعب ، ولا سيما إذا كانت النسخة متأخرة الكتابة ، ولم تلق عناية من العلماء .

وقد حققت هذا الكتاب عن نسخة فريدة ، وهي مصورة عن النسخة الخطية المحفوظة في دار الكتب المصرية بالقاهرة تحت رقم (٣١١٨٤) حديث (١٢٩٥) .

وتقع المخطوطة في مائة وأربعين صفحة ، وصفحاتها تتراوح ما بين خمسة إلى ثلاثين سطرا ، يتألف كل سطر من خمس عشرة إلى عشرين كلمة .

« نسخها الشيخ محمد بن محمد الهريري الحلبي ، نهار الأربعاء مستهل سنة سبعة عشر (؟) وألف من الهجرة » .

أما خطها فهو نسخي غير مضبوط ، متوسط بين الجودة والرداءة ، ولم يلتزم الناسخ بكتابة عنوان الباب بخط جلي واضح ، كما أنه لم يفرق بين النصوص بوضع نقطة أو أية علامة بينها .

وفي بعض من الحروف طمس وتصحيف ، كما يوجد فيها سقط بعض الكلمات . وهكذا وقع في النسخة من الأخطاء العلمية والإملائية شيء كثير .

فاعتمدت في تصحيح النص وإكمال النقص على المصادر الأصلية ، وراجعت كثيرا من الكتب المتعلقة بهذه الفنون ، ووجدت في ذلك تعباً

وعنتا ، حتى وقفت عند حديث أو اسم عدة أيام لوجود السقط أو التحريف فيه .

ويظهر من خلال الدراسة أن الناسخ لم يكن على المستوى المطلوب من العلم والمعرفة والضبط والإتقان .

فهو يخطئ في إرجاع الضمائر ، فيرجع المذكر منها إلى المؤنث ، والمؤنث منها إلى المذكر ، أو المثنى منها إلى المفرد ، والمفرد منها إلى المثنى وهكذا .

كما أنه يجعل الاسم الواحد اسمين بوضع كلمة « عن » مكان « ابن » ويجعل الاسمين المختلفين اسما واحدا حيث يغير كلمة « عن » بكلمة « ابن » وغير ذلك من الأخطاء .

كما توجد تنبيهات على بعض الأخطاء والتصحيحات وأحيانا بعض الإشارات إلى بعض الكلمات ، وقد أثبت جميع هذه الفوائد والملاحظات في الهامش مع الإشارة إليها .



عملي في الكتاب ومنهجي في التحقيق

أولاً : تحقيق النصوص ومحاولة إخراج الكتاب - قدر الإمكان - على صورة صحيحة قريبة مما وضع عليه المؤلف ، وذلك بالرجوع إلى المصادر الأصلية من كتب الحديث والعقيدة والرجال ، وبلاستعانة بالمراجع التي توجد فيها مقتبسات من الكتاب ، مع ذكر الفروق في النصوص بين المصادر المختلفة ، وإثبات الصحيح منها في الأصل وبيان الخطأ في الهامش .

أما الإضافات التي تستلزمها سلامة النص ، وبدونها يختل الكلام ، فأضعها بين القوسين مع الإحالة إلى المصدر الذي اعتمدت عليه في هذه الزيادات ، وإذا كانت الزيادة تكون مني ولا توجد في المصادر ، ولكن السياق يقتضي وجودها ، فأثبتها في الأصل بين القوسين ، وأقول في الهامش : « ما بين القوسين لا يوجد في الأصل والسياق يقتضي وجوده » .

ونبهت على الكلمات والعبارات الغامضة التي لم أتمكن من الوصول إلى معرفتها في التعليق وذلك بالقول : « لا تخلو من تحريف » .

كما أنني غيرت رسم الكلمات التي رسمها الناسخ بطريقة تخالف قواعد الإملائية الحديثة فأجعلها طبقاً للقواعد دون إشارة إليها . ووضعت الفاصلة والنقطة وعلامة الاستفهام بما يقتضيه المقام حسب القواعد الحديثة .

كما أشرت لبدء الصفحات في المخطوطة ليسهل الرجوع إليها ،

وذلك بوضع أرقامها بين خطين مائلين هكذا / / عند بدء النص .
 ثانياً : بيان مواضع الآيات من السور مع ذكر أرقامها ووضعها بين
 القوسين .

ثالثاً : تخريج الأحاديث الواردة في الكتاب . فقد حاولت
 تخريجها من أكثر مظانها ، فإذا كان الحديث في الصحيحين أو
 أحدهما لم أكتف بذكرهما أو أحدهما ، بل إن وجدت عند غيرهما
 أذكره وذلك لمزيد الفائدة .

وقدمت في العزو الكتب الستة ثم المصادر الأخرى مع الالتزام
 بالترتيب الزمني إلا في الحالة القليلة النادرة ، فأذكر اسم المؤلف أولاً
 ثم اسم الكتاب ثم الباب غالباً إذا كان مرتباً على الأبواب ، ثم الجزء
 والصفحة أو رقم الحديث أحياناً في المطبوعات ، والورقة في
 المخطوطات ، وإذا كان للمخطوطة أجزاء ، فالأول للجزء ، والثاني
 للورقة .

كما أنني حاولت بجمع أكثر الطرق للأحاديث وذكر الشواهد للكثير
 منه وليس للجميع وذلك حسبما يقتضيه المقام .

واكتفيت بذكر أقوال أهل العلم فيما يتعلق بإسناد الحديث ، وعند
 عدم وجود الأقوال أتزم ببيان درجة الحديث فأحكم عليه من حيث
 الصحة والضعف أو أشير إلى العلة الموجودة فيه ، هذا في الأحاديث
 التي ليست في الصحيحين ، أما أحاديث الصحيحين فلا حاجة إلى
 بيان درجاتها لأنها صحيحة تلقته الأمة بالقبول .

رابعاً : عزو الآثار والأقوال إلى مصادرها المختلفة ، مع الحكم

عليها من حيث الصحة والضعف ، واخترت لذلك نفس المنهج الذي نهجت في تخريج الأحاديث .

خامساً : تراجم الأعلام . فقد قمت بترجمة جميع الأعلام الوارد ذكرهم في الكتاب إلا نذرا يسيرا منهم ، وهم الذين لم أعر على تراجمهم إما لجهالتهم ، أو لوجود التحريف في أسمائهم ، أو عدم تمكني من الوقوف على تراجم لهم ، فأبين ذلك بالقول : « لم أعر على ترجمته » أو « لم أجد ترجمته » أو « لم أتمكن من معرفته » .

واكتفيت بما في « التقريب » إذا كانوا من رجال التقريب ، ولم أتوسع في تراجمهم إلا أن أشير أحيانا إلى أمكنة تراجمهم في « تهذيب التهذيب » وأحيانا في « تهذيب الكمال » ولكن توسعت في ذكر المصادر من كتب الجرح والتعديل في بعض الأحيان ، وذلك إذا كان الراوي متهما أو متكلما فيه .

وترجمت لكل راوٍ في أول موضع ورد ذكره في الكتاب ، فإذا تكرر لم أتعرض له إلا إذا كان هناك مجال للاشتباه والالتباس مع الآخرين فأكتفي بتوضيح الاسم أو اللقب أو الكنية فقط .

وأشرت إلى مكان ترجمته في فهرس الأعلام في آخر الكتاب .

سادساً : شرح الكلمات الغريبة .

سابعاً : الترقيم بالطوائف والفرق والمدن والبلدان الواردة في الكتاب .

ثامنا : التعريف المسلسل حيث رقت أبواب الكتاب كما وضعت

لكل حديث وأثر رقماً مسلسلاً .

تاسعاً : التعليق على بعض المواضع التي تحتاج إلى تعليق لإيضاح النص أو فهم المراد منه .

فإن وجدت كلاماً لأحد من أهل العلم ، يشرح النص أو يوضح المقصود منه اكتفيت بنقله ، إلا أن يتبين لي شيء آخر غير ما أشار إليه فأذكره .

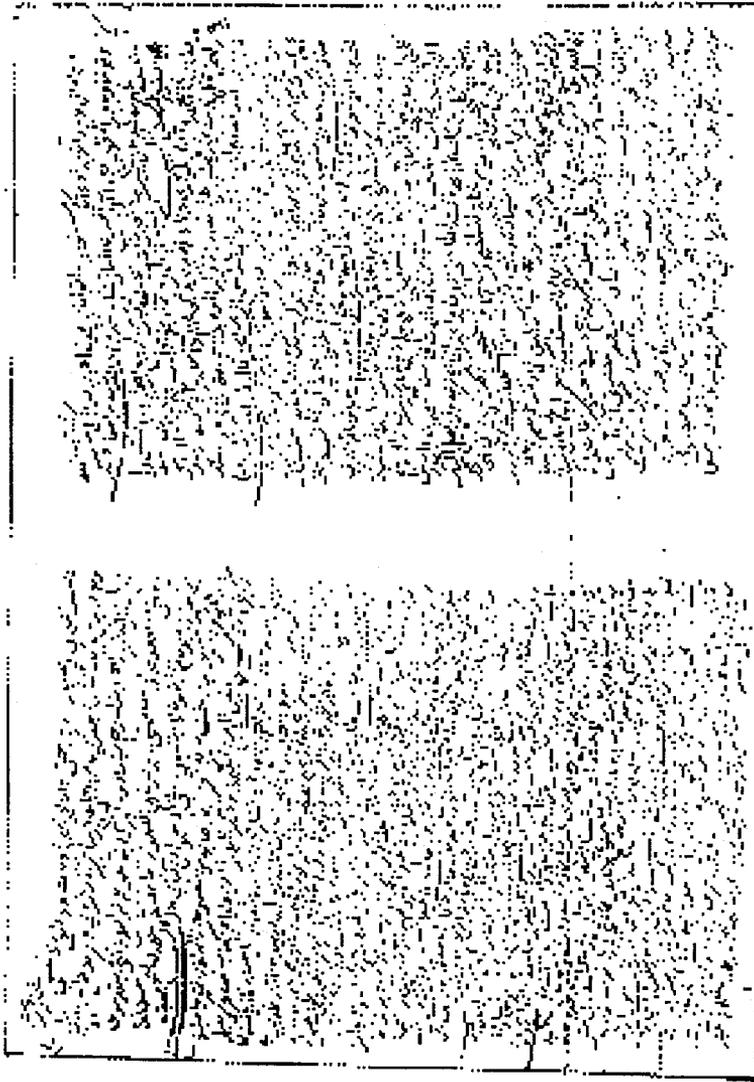
كما علق على مواضع مختلفة بما يقتضيه المقام من الناحية العقديّة ففصلت ما أورده المؤلف مجملاً ، وشرحت مذهب السلف في باب الاعتقاد شرحاً وافياً دون تطويل ممل .

عاشراً : وضع الفهارس العلمية الآتي ذكرها :

- * فهرس الآيات القرآنية حسب ترتيب سورها .
- * فهرس الأحاديث المرفوعة .
- * فهرس الآثار الواردة في الكتاب على ترتيب أصحابها .
- * فهرس الأعلام المترجم لهم .
- * فهرس الكلمات الغريبة .
- * فهرس الأماكن والبلدان .
- * فهرس الفرق والمذاهب .
- * فهرس المصادر والمراجع .
- * فهرس موضوعات الرسالة .



مَنَاجِحُ مَضَوَّةٌ مِنَ الشَّيْخِ الحَظِيئَةِ



صورة صفحة من وسط المخطوط

صورة صفحة من وسط المخطوط

